العنقري

سلسلة شروح فضيلة الشيخ ٩

شرح العقيدة الطحاوية

للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

شرح

العقيدة الطحاوية

alanqri1 drangari alanqri

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (٩)

شرح
العقيدة الطحاوية

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فالعقيدة الطحاوية من المتون المُتقدمة، **وهي**: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من بلدة طَحَا، سمع من عدد من أهل العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واعتنى بالحديث، كان شافعيَّ المذهب، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقصة وقعت بينه وبين خاله: إسماعيل المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ -**تلميذ الشافعي الشهير**-؛ فلموقف من المواقف جرى بينه وبين أبي إبراهيم انتقل إلى المذهب الحنفي، وأثَّر هذا -كما سيأتي -إن شاء الله- في مُقدّمة هذه العقيدة-.

هذا المختصر من المختصرات العقدية القديمة كما قلنا؛ لكن هناك مختصرات عقدية أقدم من هذا المختصر وأجود في الحقيقة وأسلم: كالمختصر الذي للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**أصول السنة**»، وكذلك أيضًا «**أصول السنة**» للحميدي، وكذا «**شرح السنة**» للمزني رحمهم الله تعالى، وكلهم أقدم من أبي جعفر.

عبارات الطحاوي في هذه العقيدة: ينبغي أن يعلم طالب العلم أنها على ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول**: عبارات سليمة لا إشكال فيها مطلقًا، وهي ولله الحمد أكثر ما في هذه العقيدة.
- **القسم الثاني**: عبارات مجملة تحتمل أكثر من معنى، وسيأتي الكلام عليها، والتنبيه عليها في مواضعها بعون الله عَزَّوَجَلَّ.
- **القسم الثالث**: عبارات غير سليمة، كانت بسبب ميله رحمة الله تعالى عليه إلى مقولة مرجئة الفقهاء، ويأتي الكلام عليها بعون الله مفصلة؛ لكن في العموم الأغلب هذه العقيدة من أحسن العقائد من

حيث السلامة العقدية، وبذلك يعلم طالب العلم أن هذا المتن من أسلم المتون؛ ولكن ليس هو أجودها قطعًا، والمتون للأئمة الكبار الذين ذكرناهم ولغيرهم أيضًا أقوى منها وأجود.

هذه العقيدة شرحها عدد كثير، ولا أعلم شرحًا سليمًا مطلقًا -في المتقدمين أقصد- إلا شرح العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أمَّا بقية الشروح فمعظمها لعدد من المتكلمين الذين انحرفوا عقديًّا، وأخذوا من العبارات التي ذكرنا أنها مجملة ما يزعمون أنه دال على أن أبا جعفر يميل إلى قولهم، وهي عبارات سيأتي الكلام عليها بإذن الله، وقد حرص الشارح ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تبيين وجهها، وهذه العبارة -كما قال شيخنا ابن باز رحمة الله تعالى عليه- ينبغي أن يُردّ المُجمل فيها إلى المبيَّن، فإن أبا جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثبت للصفات بلا شك، معلوم هذا عنه؛ لكنه كان في حال من الردود تارةً على المعتزلة، وتارةً على الممثِّلة؛ فلأجل ذلك أطلق تلك العبارات المجملة، ممَّا جعلها بحاجة إلى توضيح وتبيين، وتولى ذلك ابن أبي العز رحمة الله تعالى عليه، وهو رجل أيضًا من الحنفية، وسليم المعتقد، رحمة الله تعالى عليهم جميعًا، فوجَّه هذه العبارات التوجيه السليم، والعبارات التي يكون فيها المأخذ تعقَّب أبا جعفر فيها.

ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبَّه على جملة تنبيهات في هذه العقيدة ستراها، من أهم ما نبه عليه:

❍ **التنبيه الأول:** أن هذه العقيدة في الحقيقة غير مرتبة، **أي**: لم يُرد الطحاوي أن يرتبها ترتيبًا معينًا، وإنَّما كان يذكر عدة مسائل، ثم قد يعود للمسألة التي ذكرها، وهذا ستراه -إن شاء الله تعالى- أثناء الشرح، فموضوع القدر ذكره في مواطن كثيرة مفرَّقة من الرسالة -أو من هذا المتن-، ذكره في مواطن عدة، وبيَّن الشارح عذره: بأنه لم يكن يريد الحقيقة الترتيب؛ وإنما كان يكتب بحسب ما يرى دون أن يكون في ذهنه أمر الترتيب، وإلَّا فالرجل مرتِّب، وله كتاب: «**شرح معاني الآثار**»، ولديه علمية في الترتيب، لكن لم يرد الترتيب المحدد، وإنما كان معظم كلامه يتعلق بمجمل الاعتقاد، ولهذا من مزايا هذا المتن: أنه مر على مسائل الاعتقاد، فتجد فيه الكلام على الأركان الستة مفصلة، وإن كان كما سيأتي-إن شاء الله- يذكرها في موطن ثم يعود إلى الركن الذي يتحدث عنه في موطن آخر، وهكذا.

ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبَّه إلى أن المصنَّف في أصول الدين أفضل ترتيب له أن يصنف على حديث جبريل، حديث جبريل الذي فيه: «**الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ**»، إلى آخره، فيقول: الأفضل أن الإنسان يتكلم في العقيدة بهذه الطريقة، فيتحدث عن ما يتعلق بالإيمان بالله حتى ينهيه، ثم

يذكر موضوع الإيمان بالملائكة، ثم يذكر موضوع الإيمان بالكتب، وهكذا، ولا شك أن هذه طريقة سليمة ومرتَّبة جدًّا، وأيضا مرتبطة بالحديث.

❍ **التنبيه الثاني:** تكرار العبارات بما يغني؛ بحيث تغني هذه الجملة عن الجملة الأخرى، ووجود السَّجع في بعض المواضع، ولهذا كان ممَّا أخذ عليه: أنه يكرر العبارات في مواضع، يقول: وهو بالخُطَب أشبه منه بالعقائد، يقول: وكذلك موضوع السجع هو أقرب للخُطَب، أمَّا موضوع العقائد: فالأنسب **دائمًا** أن تكون موجزة مختصرة، لا يكون فيها شيء من التكرار، ويُبعد عن السجع فيها، هذا مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلا شك أن هذا هو الأجدى والأنسب من حيث الترتيب، لكن المسألة في مثل هذا -كما تعلم- الأمر فيها على اجتهاد المصنف، الأمر في ذلك حسب ما يرى المصنف الأنسب له والأجود في ترتيبه للكتاب، ويأتي-إن شاء الله تعالى- الكلام عليها، وتعلم أن هذه العقيدة احتوت على أكثر من مائة جملة؛ لأجل ذلك يصعب الحقيقة أن نقف بالتفصيل معها، فمن أجل ذلك سيكون الشرح-بإذن الله- في الجملة مختصرًا حتى نتمكن بعون الله من الفراغ منها اليوم -إن شاء الله-.

الشَّرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**هذا ذكر بيان عقيدة أهل السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين**».

بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ بالعقيدة وأسندها إلى الإمام أبي حنيفة وصاحبيه رحم الله الجميع، ولا شك أن هذا مأخذ في الحقيقة، وأن العقيدة أكبر من أن تنسب إلى شخص، فنحن لا نعتقد عقيدة أحمد بن حنبل، ولا ابن تيمية، ولا ابن عبد الوهاب، العقيدة أكبر بكثير من أن تنسب إلى شخص.

ولهذا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد**»، فإنه مذهب الصحابة؛ فالأصل أن الانتماء في الاعتقاد يكون للنصوص وللسلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، هذا هو الموضع الذي ينبغي أن يلاحظ في أمر الانتساب، فالعقيدة لا تؤخذ من فلان، وإنَّما تؤخذ ابتداءً من كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وممَّا فهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ**»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**».

قال أهل العلم: إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمنة للأمة في دينها ودنياها، أمنة للأمة في دينها: من جهة أنهم يبيِّنون الحق ويدحضون الباطل والبدع والضلالات، وأمنة للأمة في دنياها: فإن الفتوحات العظيمة الكبرى كانت زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، ونشروا الإسلام أيَّ ما نَشْرٍ، فلأجل ذلك ينبغي الحقيقة أن ينتسب **دائمًا** -ويلاحظ هذا في الاعتقاد- إلى السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هم الذين يُنتسب في الاعتقاد إليهم، وقد كان -كما قلنا- أبو جعفر من الشافعية، فجرى بينه وبين خاله -المزني، رحم الله الجميع- موقف

غضب عليه فيه المزني، وقال له: والله لا جاء منك شيء، **أي**: كان يقول: لن يكون منك شيء من النفع -أو نحو ذلك-، فغضب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وانتقل إلى القراءة على الحنفية، ولأجل ذلك أخذ بقولهم في الاعتقاد وفي الفقه، ويأتي لهذا -إن شاء الله- بيان.

❍ **فالحاصل**: أن الاعتقاد ينتسب فيه إلى السلف الصالح رضي الله عنهم، وإذا قلنا السلف: بالمناسبة رأس السلف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **دائمًا** كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاطمة رضي الله عنها: «**نعم السلف أنا لك**»، فهو سيد السلف وسيد الأمة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا قلنا: مذهب السلف يؤخذ به؛ لأنهم أخذوه من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأنهم الذين أولى بفهم النصوص من سائر الأمة، ولهذا ينبغي أن يكون الانتساب للسلف، ولهذا ما لك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قيل له: إن رجلًا قيل له عند الموت -من أهل البدع-: تموت على أي دين؟ قال: أموت على دين أبي عمارة، قال: «**انظروا إلى هذا يقول: أموت على دين أبي عمارة، ولا يقول: أموت على دين أبي القاسم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، يموت على دين رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا ينتسب في الاعتقاد إلى فلان أو فلان، لأجل ذلك: الاعتقاد ينتسب فيه إلى النصوص وإلى السلف الصالح؛ لأنهم تلقَّوه عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بخلاف الانتساب الفقهي، الانتساب الفقهي لا إشكال فيه، المدارس الفقهية إذا كان الإنسان إذا تبيَّن له الدليل عمل به، أمَّا إذا درس الفقه دراسة، يكون في بيئة حنفية يدرس على الحنفية لا إشكال، في بيئة شافعية، في بيئة مالكية، في بيئة حنبلية، يدرس العلم على شيوخ بلده الذين يتلقى عنهم لا إشكال، وإذا انتسب وقال: إني شافعي، أو حنفي، أو حنبلي، أو مالكي، لا إشكال أيضا، ليس في هذا إشكال؛ لأن هذه مدارس، كما أنك تقول: هذا تخرج الآن من جامعة كذا، وهذا من جامعة كذا، مدارس، أمَّا الاعتقاد؛ لا، الجميع ينبغي أن ينتسبوا فيه إلي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى السلف الصالح.

❁ **قال المصنف**: «**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**».

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالكلام على التوحيد فقال: «**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ**»، فنحن نقول مع الاعتقاد، لأن المؤمن يقول ما يعتقد، والمنافق هو الذي يقول ما لا يعتقد.

قوله: «**إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ**»؛ هو عَزَّوَجَلَّ واحد، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦]،

واحد في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه أقسام التوحيد التي ينقسم إليها التوحيد، وهذه الأقسام بالمناسبة موجودة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، موجودة في سورة الفاتحة، فقولك:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] : هذا توحيد الربوبية، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٣-٤]: توحيد الأسماء والصفات، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] : هذا توحيد العبادة، وهكذا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٣-١٦٤]، الآية، فهذه أيضًا الآية ذكرت أنواع التوحيد، فالتوحيد وهذه الأنواع، وتوحيد الربوبية معناه يرتبط بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ من جهة أفعاله؛ أي: وحَّد الله تعالى في أفعاله؛ إفراد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة، ونحو ذلك، توحيد العبادة مرتبط بالعبد؛ إفراد الله بأفعال العباد من الدعاء، والذبح، والنذر، ونحو ذلك، توحيد الأسماء والصفات: إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الأسماء والصفات، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، التوحيد الذي عليه المدار وعليه الخُصْمة الكبرى بين الرسل صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبين أعدائهم: هو توحيد العبادة، فإن الأمم كانت متفقة على أن الله تعالى هو الرب، والآيات في هذا كثيرة في كتاب الله :﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف:٨٧] ؛ هذه الآيات صُدِّرت بهذا السؤال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] ، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] ، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١] ، جوابهم على جميع هذه الأسئلة أن الله تعالى هو الذي يخلق ويرزق ويدبر الأمر، فالأمم على هذا.

الذين جحدوا ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ ما جحدوها إلا في الظاهر، وإلَّا فهم مقرون في الباطن: أن الله تعالى هو ربهم، وأشر من جحد الربوبية: هو فرعون، ومع ذلك يقول له موسى عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء:١٠٢]، أنت في قرارة نفسك تعلم، ولهذا قال تعالى في الآيات: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل:١٤]، فعندهم يقين متأكدون، لكنهم

يجحدون في الظاهر، فالأصل أن هذا الأمر قد فطر الله تعالى عليه الجميع، ولهذا ما جاءت الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة إلى إثبات أن الله هو الرب، وإنما جاءت الرسل بالدعوة إلى عبادة هذا الرب الذي يُقِرُّ به الجميع: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، وهكذا الآيات المرتبطة بهود، وصالح، وشعيب، ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا﴾ [الأعراف:٦٥] ، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ﴾ [الأعراف:٨٥]، قال عَزَّوَجَلَّ في جميع الرسل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، فالموضوع موضوع العبادة، وهو الذي أرسلت الرسل لأجله عليهم الصلاة والسلام، وهذا الأمر العظيم الجليل في كتاب الله قد خفي على طائفتين:

❍ **الطائفة الأولى**: المتكلمون من المعتزلة والجهمية والأشعرية والماتريدية وأضرابهم، فظنوا أن المقصود: توحيد الربوبية، مع جلاء الآيات ودلالتها الصريحة على أن الرسل إنما جاءت لإفراد الله تعالى بالعبادة.

❍ **الطائفة الثانية**: الصوفية، فإنهم أيضًا جهلوا حقيقة التوحيد الذي أتت به الرسل الصلاة والسلام، فهذا العلم العظيم -علم التوحيد- هو أشرف علوم الدين على الإطلاق، لا يوجد علم أشرف مطلقًا من علم التوحيد، وهو الذي أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا أن يبدأ به لمَّا أرسله إلى اليمن: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِن هُمْ أَطَاعُوا فَأَعْلِمْهُم أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ**»، الحديث، فهذا هو الأمر العظيم الذي يُبدأ به، وهو أول ما يدخل به المرء الإسلام، أول ما يأتينا الكافر يريد الإسلام نلقنه أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهكذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا دعا دعا قومه إلى هذا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦]، فكان يدعوهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وهذا الموضوع العظيم -موضوع التوحيد- موضوع كبير جدًّا.

ومن إكرام الله عَزَّوَجَلَّ للداعي إلى الله تعالى: أن يستعملهم في التوحيد، إذا أراد الله إكرام العبد استعمله في التوحيد، فينفع الله به تعالى أعظم النفع، وإذا تاه الإنسان وضاع صار يدعو في وادٍ والتوحيد في وادٍ، فما جعل الله تعالى له بركة في دعوته ولو عُمِّر عُمُرَ نوح؛ لأنه لم يأت البيوت من أبوابها، ولم يسلك المسك الذي قال الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، فالمتَّبع الحق لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يركز على التوحيد، يحذر من الشرك، وليس معنى قولنا: إنه يركز على التوحيد أنه يترك بقية أمور الدين، لا يقول هذا أحد، لا بُدّ من الكلام على الآداب والأخلاق، والمحرمات، والواجبات من صلاة وزكاة وغيرها، لا بُدّ، لا شك، أصلًا لا يتم التوحيد إلا بهذه الأمور قولًا وفعلًا؛ لكن إذا كان الإنسان لا يهتم بهذا الأمر العظيم –بالتوحيد–، وتشيب لحيته ما صار له كلام بالتوحيد، فلو اجتمع عليه أهل الأرض فلا خير في دعوته، وهذا من الأمور التي أضرَّت الدعوة إلى الله إضرارًا بالغًا، أن دخل فيها من لا يحسن الدعوة على السبيل الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف:١٠٨]، فدعا أناس على غير بصيرة، وعلى غير هدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلأجل ذلك –**أيها الإخوة**– من المهم: أن يلاحظ أمر التوحيد، قال أهل العلم: هو أول ما يدخل به الإنسان الإسلام، وهو آخر ما يخرج به من الدنيا، الميت يُقال له وهو قد عاش على التوحيد مائة سنة: قل: لا إله إلا الله، حتى يختم حياته بالتوحيد، مع أن حياته كانت على التوحيد؛ لكن يبدأ بالتوحيد ويختم بالتوحيد؛ لعظم شأن التوحيد، ولأجل ذلك خذ قاعدة: الشخص الذي يهوِّن من أمر التوحيد: هذا من دعاة الضلال، لا يمكن أن يكون من دعاة الهدى، إذا هوَّن من أمر التوحيد، ومن أمر الشركيات؛ هذا ليس من الهداة المهتدين، هذا من الضالين بلا شك، حتى لو بلغ في كثرة من حوله من الناس أو شهرته ما بلغ؛ لأن الأنبياء دعوا إلى هذا، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يرسل الرسل ليدعوا الناس إلى هذا، الرسل الذي يرسله من أصحابه، كما في حديث معاذ الذي تقدم، فلأجل ذلك: الدعوة إلى الله بحاجة إلى علم، بأن يدعو الداعي على بصيرة؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨]، هذا أمر في غاية الأهمية الحقيقة، ولهذا تجد أن أهل العلم يبدءون بالتوحيد.

قوله: «**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ**»؛ مباشرة يبدأ بأمر التوحيد، لمَّا تكلم عن أمر التوحيد، وذكر أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يوحَّد، قلنا إنه تعالى يوحَّد –عز اسمه، لا إله إلا هو– بالأمور التي ذكرناها وهي مختصة به، فأصل التوحيد: إفراد الله بما يختص به، هذا معنى التوحيد عمومًا، ما الذي يختص به؟ الربوبية،

والألوهية، والأسماء والصفات، ما معنى توحيد الربوبية؟ تقدم، ما معنى توحيد الألوهية؟ تقدم، ما معنى توحيد الأسماء والصفات؟ كل هذا تقدم.

قوله: «**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ**»؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الخالق، كل ما سوى الله فهو مخلوق، والله تعالى يقول: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى:١١]، فليس لله تعالى مثل بلا شك لا في ذاته تعالى، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولأجل ذلك: فإن أيَّ صفة يوصف الله تعالى بها فإن هذه الصفة لله منها الكمال المطلق؛ كعلمه عَزَّوَجَلَّ، فإذا وُصف الرب بالعلم؛ فعلمه كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، هذا العلم العظيم الذي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٦١]، لأجل ذلك: أهل السنة -ولله الحمد- إذا وصفوا الله تعالى بوصف لا يوجد عندهم أدنى تردُّد في أنه الوصف اللائق بالله عَزَّوَجَلَّ.

والأمور الغيبية -**أيها الإخوة**- عمومًا حتى فيما يتعلق بالجنة: ليست تشبه الأمور الموجودة في الدنيا، ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما يتعلق بنعيم الجنة: «**إنه ليس في النعيم الذي في الجنة فيما يتعلق بالدنيا ليس منه إلا الأسماء**»، فإذا قال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، فلا يمكن أن يتصور إنسان أن فاكهة الدنيا مثل فاكهة الآخرة، مطلقًا، كما أن النار -عياذًا بالله منها- في الآخرة لا يمكن أن تكون مثل نار الدنيا؛ لأنها قد ضُعِّفت عليها بسبعين ضعفًا، هذا وهي مخلوقات، ولهذا جاء في الحديث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا ذكر الدرجات التي تكون في الجنة، قال لأحد أصحابه: «**إِنَّهَا لَيْسَتْ مِثْلَ دَرَجَةِ أُمِّكَ**»، **أي**: لا تتصور إذا قلنا: درجة أنها مثل درج بيتك، هذا هو مخلوق، فما بالك بصفات الله عَزَّوَجَلَّ، فلم يقع -ولله الحمد- عند أهل السنة أدنى إشكال في الصفات؛ لأنهم يعلمون أن صفات الله تليق به، وأنه إذا قيل: العلم لله عَزَّوَجَلَّ يثبت، ويثبت للمخلوق العلم، فعلم الله كما ذكرنا في الآية، أمَّا علم المخلوق فكما قال تعالى:﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، وعلى هذا تكون جميع الصفات، جميع الصفات على هذا الحال: أن أيَّ وصف فلله تعالى منه الكمال المطلق، أمَّا المخلوق فله منه ما يليق بضعفه وافتقاره وفنائه، فلأجل ذلك قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ**»، لا شيء مثل رب

العالمين، والله تعالى كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

قوله: «وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ»؛ لمَّا كان الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المنفرد بالتدبير والأمر والنهي، وكان هو الرب وما سواه عبيد: إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا، فإنه لا يمكن أن يعجزه تعالى شيء، الكل خلقه وعبيده وتحت تصرفه، لا حول ولا قوة إلا به، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر:٤٤]، وهذه الآية لها شأن عظيم جدًّا.

عندنا أمر مهم جدًّا فيما يتعلق بالصفات: صفات الله تعالى المثبتة لله عَزَّوَجَلَّ نعلم علمًا تامًّا أن لله تعالى منها الكمال المطلق، النفي: إذا نفى الله تعالى عن نفسه شيئًا؛ فإن الله متَّصف بكمال ضده، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر:٤٤]، قال بعدها: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤]، قال أهل العلم: لأن العاجز عاجز لأحد أمرين:

- **الأمر الأول:** لنقص علمه.
- **الأمر الثاني:** لنقص قدرته.

فإمَّا أن يكون العاجز لا يقدر، وإن علم بالأمر فإنه لا يستطيع أن يغير شيئًا؛ لأنه عاجز، وإذا كان قادرًا لكنه لم يعلم بالأمر، تمَّ الأمر على خلاف ما أراد، فإذا بلغه قال: ما علمت، فلأجل ذلك تأمل الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر:٤٤] ، هذا نفي للعجز؛ لأن الله تعالى متصف بكمال ضد العجز؛ وهو كمال العلم وكمال القدرة؛ لهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤]، فلهذا قال أهل العلم: النفي المحض لا يمكن أن يكون مدحًا، فالله تعالى متصف بالعدل المطلق، ويُنفى عنه الظلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكمال عدله مع قدرته على كل شيء، أمَّا مجرد نفي الظلم؛ فإن الإنسان قد يعجز عن الظلم ولو تمكن لظلم؛ لكنه عاجز غير قادر، فلأجل ذلك هو لا يظلم، فهو غير ظالم لا لأنه عنده العدل؛ لكن قد يكون سبب عدم ظلمه: أنه عاجز، فلأجل ذلك: فإن النفي المحض لا يكون مدحًا، ولأجل ذلك: كل نفي نفاه الله تعالى عن نفسه فلأنه تعالى متصف بكمال ضد هذا الذي نفاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا قال: «وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ»؛ أيُّ شيء في السماوات أو في الأرض فلا يمكن أن

يعجز الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «**وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ**»؛ **الإله:** هو المعبود، **لا إله غيره أي:** لا معبود حق سوى الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه الكلمة العظيمة هي كلمة التوحيد، وهي التي قلنا: إن الرسل دعوا إليها: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وذكرنا الآيات في نوح وهود وصالح وشعيب، كلهم يدعون قومهم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، لا إله إلا الله: هذه كلمة التوحيد العظيمة، معناها: أن لا معبود حق إلا الله، فقولك: لا إله: **أي:** لا معبود، حق إلا الله، لا: هنا هي النافية للجنس، إله: اسمها منصوب وعلامة نصبه الفتحة، الخبر مقدَّر تقديره: حق؛ **أي:** لا معبود حق إلا الله، فإذا وُجد معبود سوى الله؛ فإنه معبود بباطل، ولهذا وُجدت آلهة لكنها معبودة بالباطل: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨] ، فيُجمع العابدون والمعبودون في جهنم جميعًا، فالآلهة من حيث كلمة الآلهة المعبودة موجودة لكنها بالباطل، ودلَّ على هذا التقدير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢] ، في سورة الحج، وفي سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]، فمعنى قولنا: لا إله: لا معبود حق، كما دلت عليه الآيتان، لا معبود حق إلا الله، وأنه لا إله غيره، وهذه الكلمة العظيمة التي يُبدأ بها كما تقدم، وهي التي جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بالدعوة إليها، وهذه الكلمة العظيمة علم مستقل، علم عظيم، علم كلمة التوحيد، وشروط كلمة التوحيد، ونواقض كلمة التوحيد؛ هذا من أشرف وأعظم العلوم؛ بل هو أشرف العلوم الحقيقة كما قلنا، وشروطها سبعة جمعها الناظم في قوله:

[علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها]

فهي سبعة شروط، هذه الشروط السبعة بأن يقولها الإنسان عن علم، وعن إخلاص منقادًا، محبًّا لها ولأهلها، إلى غير ذلك، وتكلم أهل العلم على الشروط هذه، وشرحوا معناها، وبيَّنوا الأدلة عليها، كما تجد ذلك في «**فتح المجيد**» للشيخ عبد الرحمن بن حسن، وكذلك في «**معارج القبول**» للشيخ حافظ حكمي، وأفردت أيضًا بالتصنيف وحدها، وكما أن شروطًا فلها نواقض، وصنف الإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه النواقض، وذكر أنها عشرة، وبيَّن أن النواقض كثيرة، لكنه ركَّز على العشرة؛ لأنها أكثر ما يكون انتشارًا، وإلَّا فالنواقض التي ذكر العلماء في باب حكم المرتد كثيرة، لكن ركز على هذه العشرة تحديدًا؛ لأنها كثيرة الانتشار، نعوذ بالله.

قوله: «**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**»؛ هذه العبارة منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتقدها الشارح وصدق في انتقاده إياه فيها.

قوله: «**قَدِيمٌ**»، الربّ عَزَّوَجَلَّ سمَّى نفسه باسم لا نعدل عن اسم الله الذي سمى به نفسه: وهو الأول سبحانه، أمَّا القديم؛ فإن القديم في لغة العرب لا يتضمن المعنى الكامل الذي يتضمنه اسم الأول، فالقديم في لغة العرب يراد به: ما يكون مسبوقًا بغيره، كما قال تعالى: ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء:٧٦]، ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]، أمَّا الأول فكما في الحديث: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**»، فهذا هو الاسم الذي ينبغي أن يُلتزم، وأسماء الله تعالى تتميز بأنها حسني، **أي**: قد بلغت في الحسن أكمل ما يكون من الحسن، ولأجل ذلك: فاسم القديم أولًا: لم يثبت حتى يقال أنه يقال عن رب العالمين، الأمر الآخر: أن الله سمَّى نفسه بالاسم اللائق به تعالى: وهو الأول، وبيَّن أن الأول هو الذي ليس قبله شيء، كما بيَّنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»، ولأجل ذلك: فإنه ينبغي التعبير عن رب العالمين بما سمى به نفسه، وبما سماه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا شك أن من أطلقوا كلمة القديم أرادوا هذا المعنى بلا ريب، لا يريدون أنه مسبوق بغيره تعالى سبحانه عن ذلك، ليس هناك مسلم يقول هذا، ولأجل ذلك قال: «**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ**»، مراده نفس المعنى الموجود في اسم الأول، فيقال: الحمد لله، يُسمَّى الله بما سمَّى به نفسه، وهو كما في الحديث: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**»، هذا معنى قوله: «**بِلَا ابْتِدَاءٍ**»، وهكذا هو الآخر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فليس بعده شيء، وهو الذي ينبغي أن يُقال بدل كلمة: «**دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**».

❁ **قال المصنف: «لا يَفْنَى وَلا يَبِيدُ، وَلا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ».**

الفناء منفي عن الله قطعًا، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، فالبقاء لله عز اسمه، وكل ما سواه عَزَّوَجَلَّ من مخلوقاته فإنه يفنى، وقد كتب الله تعالى الفناء على هذه المخلوقات، وهو الذي يبقى لا سواه، فلأجل ذلك قال: «**لا يَفْنَى**»، ثم قال: «**وَلا يَبِيدُ**»، والفناء

والبَيْد متقاربان من حيث المعنى، وجمعهما إمَّا للتأكيد، وهو أراد بهذا تقرير ما تقدم في قوله: «دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ».

قوله: «وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ»؛ لا يمكن أن يقع في هذا الملكوت حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله تعالى، ولو اجتمعت الخلائق كلها على أمر أرادته ولم يُرده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلا يمكن أن يتحقق؛ لأنه الذي غلبت مشيئته المشيئات كلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا أراد الله أمرًا فلا ريب أنه لا بُدّ أن يقع، والمقصود بهذه الإرادة: الإرادة الكونية؛ لأن الإرادة على نوعين:

- **النوع الأول:** الإرادة الكونية التي بمعنى: المشيئة، فهذه الإرادة تتحقق وتقع ولا بدَّ.

- **النوع الثاني:** الإرادة الشرعية؛ فإن الله تعالى أراد من العباد أمورًا معينة من العبادات؛ كالصلاة والصوم والزكاة، ولكنَّ المؤمنين هم الذين حقَّقوا مراد الله فيها، والكفار ما حقَّقوا مراد الله، فالإرادة الكونية تقع حتمًا، والإرادة الشرعية حين يريد الله من العباد أن يصلُّوا فهل كلهم يصلي؟ لا؛ لأن هذه إرادة شرعية تتحقق في أهل الإيمان، وأمَّا أهل الكفر فلا تتحقق فيهم، أمَّا الإرادة العامة المقصود بها: المشيئة، إذا شاء الله تعالى أمرًا؛ فإنه يقع بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يمكن أن يحول دون الله ودون مراده أحد، ولهذا فإن الله عزَّ اسمه إذا أراد أمرًا فلا يمكن أن يُردَّ هذا الأمر بإرادته الكونية كما قلنا، بقدر ما يتعلق قلب المؤمن بمثل هذه المعاني؛ يعلم أن كل المخلوقين ما هم إلَّا أسباب، لا يمكن يأتيك خير من هؤلاء المخلوقين، ولا يمكن يأتيك شر؛ إلا على سبيل التسبُّب، فلاجل ذلك: بقدر ما يلجأ العبد إلى ربه تعالى ويعلم أن الأمر إليه؛ بقدر ما يعظم توكله، ويكون قلبه على أكمل ما يكون من القوة، وبقدر ما يضعف عنده ملاحظة هذا؛ بقدر ما يكون عنده من الضعف، فالإرادة الحقيقية التي تتم هي إرادة الله تعالى، وهذا أمر عظيم ينبغي أن يلاحظه المسلمون في سائر أحوالهم، وإذا تسلط أعداء الله عَزَّوَجَلَّ، وصار عندهم من العَتَاد والقوة والمَنَعة، والظاهر من حالهم الشدة والقوة، وأظهروا أنفسهم بأنهم في مظهر الذي لا يمكن أن يغلب ولا يقهر؛ يقال: القضية ليست عندهم، القضية عند رب العالمين سبحانه وبحمده، الذي أمدهم بهذا وأوصلهم إليه، ولو شاء لجعل هذا الذي أعدُّوه لجعله وبالًا ودمارًا عليهم، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الذي إذا أراد أمرًا تمَّ سبحانه وبحمده، هذا يقوِّي قلوب المسلمين، بخلاف حال الهلع والضعف الذي يقع من آثار كثرة الكلام عن قوة الكفار، وتنوع وتلوُّن ما عندهم من العتاد، حتى يقول ذوو العقول الصغيرة ممَّن هم في مثل حدِّ الصبيان: إن دولة من الدول قادرة على تدمير الدنيا، يخسئُون،

والذي خلق الكون لا يمكن أن تدمر الدنيا، ولو جمعوا كل عتادهم، الدنيا لها رب يصرفها، الدنيا لها نهاية ستنتهي إليها حسب ما أراد الله، الدنيا لا يمكن أن تتم إلا إذا جاءت أشراط الساعة، وتم وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كيف يقول هذا مسلم؟!! كيف يقول مسلم: إن دولة من الدول تستطيع أن تدمر الدنيا كاملة، ودولة أخرى تستطيع أن تدمر الدنيا تسع عشرة مرة، يا لله العجب!! كيف يجري هذا في ذهن موحِّد؟ كيف يقول هذا إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر!! وأن مراد الله هو الذي يتم، وأن ما وعد الله تعالى به من نصر دينه في نهاية المطاف، وما أخبر تعالى من أن الدنيا تنتهي بالمراد الذي أراده، وأنه لا يمكن أن تنتهي هذه الدنيا إلا بحسب ما ذكر تعالى فيما يتعلق بأشراط الساعة، ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]، وأنه لا يمكن أن تمضي الأمور إلا على مراد الله، ولا يكون إلا ما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أمَّا ما يريده البشر كلنا نريد، وعندنا مرادات كثيرة جدًّا، من أول حياتنا إلى أن ننتهي، وعندنا مجموعة من المرادات نريدها، فلا يتحقق منها إلا ما يريد الله عَزَّوَجَلَّ، أفرادًا وجماعات ودولًا، لا يمكن أن يتحقق إلا ما أراد الله عز اسمه، وينبغي في مثل هذه الحال الحقيقة: نشر أمر عظمة رب العالمين، وقوة رب العالمين لا العكس؛ أن تنشر قوة الدول، وأنها قادرة على كذا وعلي كذا، قدرتها على حدِّها، وهذا العتاد الذي قد أعدُّوه لو شاء الله تعالى لجعله عليهم حسرة، وجعله نكالًا ووبالًا، فمثل هذه العبارات الحقيقة أنها مضرة بالعقيدة، يتضرر الإنسان في عقيدته وهو لا يشعر، ولو تأمل المؤمن الحقيقة على ما هي عليه؛ لعلم أن مثل هذا لا يجوز أن يقال، وإنما هذه أمور من التهويل وبث الرعب أكثر منه حقيقة قائمة، الأمور بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يكون إلَّا ما يريد الله سبحانه، وقد خلت قبلنا أمم كانت على حال من القوة والعتاد، ومَلَك بعضهم معظم الدنيا، ثم مضوا كما مضى من قبلهم، وهلكوا كما هلك من كان قبلهم، وهكذا كل من بعدهم إلى قيام الساعة تحت إرادة رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يكون إلا ما يريد.

۞ قال المصنف: «لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ».

ذكر هنا هذه الجمل، ولكل جملة معنى، فقوله: «**لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ**»؛ الأوهام: هي الظنون، «**وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ**»؛ لا يمكن أن يُدرك الله تعالى من خلال علوم وفُهوم، ولا يمكن أن يحاط به سبحانه وأن يُبلغ بالأوهام، أي: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعلى وأعظم من أن يدرك، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، فلا يمكن أن يحاط بالله علمًا، لا بوهم وظنون يظنها الناس، ولا بفهم وعلوم يعلمونها إذا بلغوها أدركوا الله، معاذ الله من ذلك، لا يمكن أن يكون هذا، فالله لا تبلغه

الأوهام، ولا تدركه الأفهام، وكيف يُحاط برب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!! وهو الذي يخلق وما سواه مخلوق، وقد قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]، فالإنسان لا يمكن أن يدرك إلا ما في نطاقه من المخلوقات، أمَّا الله عَزَّوَجَلَّ فهو الخالق وما سواه مخلوق، فلا يمكن أن يحاط به عز اسمه لا إله إلا هو، لا بوهم، ولا بفهم.

❁ قال المصنف: «وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ».

يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يشبه خلقه، كما قلنا: لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته.

❁ قال المصنف: «حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ».

هذان الاسمان العظيمان جاء أن فيهما اسم الله الأعظم، حي لكنه ليس كالأحياء سبحانه وبحمده، فالأحياء حياتهم متبوعة بفناء، ومسبوقة بعدم، أمَّا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فحياته ليست مبتدئة عز اسمه، كما أن حياته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غير منتهية، تقدم قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، فكل حي فإنه يموت؛ إلا الله الحي الذي لا يموت، ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وهكذا القيوم، القيوم: القائم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي قام بنفسه وأقام غيره عَزَّوَجَلَّ، فلأجل ذلك لا ينام، الذي لا يمكن أن تتنفس إلا بإذنه كيف ينام ويترك هذه الخلائق سبحانه، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»، لا يليق أن ينام الله، كيف ينام رب العالمين الذي لا يمكن أن يمر أدنى من اللحظة إلا بإذنه وإرادته وتصريفه!! فلا يمكن أن ينام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»، في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»؛ دلالة عظيمة جدًّا على أن الذي لا ينبغي من الصفات يُعرف من النصوص، فنحن نعلم من النصوص الذي ينبغي ويليق، ونعلم من النصوص الذي لا ينبغي ولا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، فلأجل ذلك قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ**»، فعلمنا أن هذا منفي عن الله؛ وهو النوم، كما هو صريح القرآن: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، **قوله**: «**وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»؛ دلالة على أن الذي ينفى عن الله عَزَّوَجَلَّ ولا ينبغي أن يتصف به يؤخذ من النصوص، ولا يؤخذ من آراء المتكلمين معتزلة وجهمية وغيرهم، حتى يأتي الواحد منهم فيقول: هذا الوصف يليق بالله وذاك لا يليق، يقال: رب العالمين لا يترك باب الأسماء والصفات

لك حتى تخبر الناس بالذي يليق بالله والذي لا يليق به، هذا أشرف العلوم، العلم بالله عَزَّوَجَلَّ أشرف العلوم، وهذا العلم العظيم قد أخبرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالذي يليق به، وبالذي لا يليق به، وأخبرنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك، ولهذا هناك فائدة عظيمة جدًّا في حديث ثابت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في خبر الصحابي الذي كان إمامًا، وكان يقرأ بسورة قل هو الله أحد، وبسورة معها، فقال له الجماعة مِن خلفه: كأن هذه السورة لا تجزئك حتى تقرأ معها سورة أخرى، إمَّا أن تقرأها وتقتصر عليها، أو تقتصر على السورة الأخرى، لا تقرأ سورتين، فأبى، وكان أفضلهم، ولم يريدوا أن يُزيلوه، جاء هذا في حديثين: حديث في إمام مسجد قباء، وحديث في إمام كان أميرًا عليهم في سرية، والأمير هو الذي يصلي، وكلاهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقرأ بسورة قل هو الله أحد مع سورة أخرى، **أي**: يقرأ أربع سور في الركعتين، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا أخبروه: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ**»، فقال: لأنها صفة الرحمن وإني أحبها، هنا قوله: «لأنها صفة الرحمن» مفيد جدًّا: به نعلم أن صفة الرحمن نعرف من خلال النصوص المنفي وغير المنفي؛ لأن سورة قل هو الله أحد فيها المثبت لله وفيها المنفي، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]: هذا إثبات، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٣-٤]: هذا نفي، فعلمنا أن صفة الرحمن أن نعلم ما الذي أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله، وأن نعلم ما الذي نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنثبت ما أثبتا، وننفي ما نفيا، أقرَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الكلمة في قوله: «لأنها صفة الرحمن»، قال: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»، والصحابي الآخر قال: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»، فالحاصل أن سورة قل هو الله أحد فيها النفي والإثبات، وصفة الرحمن أن تعرف ما أثبتته النصوص فتثبته، وما نفته النصوص فتنفيه، وأمَّا ما -كما سيأتي- يطلقه الناس إثباتًا وهو غير موجود في النصوص إثباتًا أو نفيًا، ولم تنفه النصوص؛ فإن هذا ممَّا لا نُقدم عليه إثباتًا ولا نفيًا؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أعلم بنفسه: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠]، وصف الله نفسه بالوصف اللائق، ونفى عن نفسه ما لا يليق، حسبنا ذلك، ونقتصر على النصوص.

قال المصنف: «خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مؤنَةٍ».

لا شك أن الله تعالى خالق بلا حاجة، ما خلق الخلق ليستكثر بهم من قلَّة، ولا ليتقوَّى بهم من ضعف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ

أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧]، فإن الله عَزَّوَجَلَّ ليس محتاجًا إليهم، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى كما في الحديث الصحيح القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»، فالعباد لا يمكن أن ينفعوا الله، إذا أطاعوا الله كلهم لم ينتفع الله تعالى بطاعتهم، ولو عصوه وأطبقوا جميعًا على معصيته؛ لم يتضرر رب العالمين، كما في نفس الحديث: «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا»، ما ينتفع رب العالمين بعبادة العباد، «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا»، لا يتضرر رب العالمين لا بمعصية العصاة، ولا ينتفع بطاعة الطائعين، فخلق الخلق سبحانه لحكمة: هو أن يعبدوه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ما خلقهم تعالى محتاجًا إليهم حاشاه من ذلك.

قوله: «**رَازِقٌ بِلَا مؤنَةٍ**»؛ **المؤونة**: هي الثقل والكَلَفة، فهو يرزق عباده سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ولا يتكلف، أمَّا العباد فإنهم إذا سَعَوا في رزقهم فإنهم يتكلَّفون ويجدون الثقل، ويحسبون الحسابات، ويقدرون التقدير، فالله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فعطاؤه كلام كما في الحديث، عطاء رب العالمين كلام، يقول: كن؛ فيكون عطاؤه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فهو عز اسمه يرزق العباد دون أن يكون هناك عليه كَلَفة سبحانه عن ذلك علوًا كبيرًا.

❁ **قال المصنف: «مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ».**

يميت العباد سُبْحَانَهُوَتَعَالَى كما أنه يحييهم، يميتهم بلا مخافة، فهو عز اسمه كما في سورة الشمس لمَّا ذكر إهلاك ثمود قال: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس:١٥]، فيُهلك العباد ولا يخاف سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، قد يميت بعض الناس بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا خوفا منه، الرب تعالى يميت العباد ولا يخاف سبحانه وبحمده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس:١٥]، إذا قتل أحد أحدًا فقد يتشوَّف، ويتخوف، ويحسب الحسابات، وربَّما فرَّ من الموضع الذي هو فيه؛ لأنه حين قتل هذا الإنسان كان الذُّعر والخوف قد تملَّكه، أمَّا الله تعالى فيميت بلا مخافة، ولا يخشى من عاقبة تترتب على إماتته لأحد.

قوله: «**بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ**»؛ يبعث هؤلاء العباد سُبْحَانَهُوَتَعَالَى جميعًا: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات:١٩-٢٠]، فلا مشقة عليه بذلك سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ

أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، هل الموت صفة وجودية أو عدمية؟ لا شك أنه صفة وجودية؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:٢]، بخلاف ما قالت الزنادقة من الفلاسفة: إن الموت صفة عدمية، لا صفة وجودية، وقد ثبت أن الموت يُذبح، كما في الحديث الصحيح: أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة، وأن أهل النار إذا دخلوا النار، واستقر الفريقان استقرارًا تامًّا، وذلك -والله أعلم- يكون بعد خروج أهل الكبائر، إذا خرج أهل الكبائر من النار وصاروا إلى الجنة، وتمحَّض الفريقان؛ فريق في الجنة وفريق في السعير، يؤتى بالموت في صورة كبش، فيقال: «**يَا أَهْلَ الجَنَّةِ!! فَيَشْرَئِبُّونَ، ويقال: يَا أَهْلَ النَّارِ!! فَيَشْرَئِبُّونَ، فيقال: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟** -وهو الموت- **فيقولون: نَعَمْ**»، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ**»، لأن كلهم ماتوا، فيُذبح، الذي يُذبح الموت وليس ملك الموت، كما يقع عند العامة، يظنون أن الذي يُذبح هو ملك الموت، وعندهم أمثال في هذا؛ أن ملك الموت يذوق الموت، هو من جهة ذوق الموت كلٌّ يموت حتى الملائكة، لكن المقصود بذبح الموت: ذبح الموت نفسه؛ لأنه موجود بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا ذُبح؛ علم أهل الجنة الخلود المطلق، وعلم أهل النار الخلود المطلق؛ لأن أهل النار يتمنون الموت؛ ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف:٧٧]، يريدون الموت، فإذا رأوا الموت قد ذُبح علموا علمًا تامًّا قطعيًّا أن لا خروج من النار، نعوذ بالله من حالهم، إذًا فالموت صفة وجودية، وليس صفة عدمية، فالله تعالى هو الذ يخلق الحياة، ويخلق الموت.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد[1].

(١) نهاية الدرس الأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

قال المصنف: «مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلِقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا».

يريد هنا أن الرب تعالى متصف بصفات الكمال، وأنه لا يُقال: إن الله تعالى توجد صفة من صفات الكمال لم تتحقق له إلا لاحقا؛ بل هو المتصف بصفات الكمال عز اسمه أزلا وأبدا، في القديم وعلي الاستمرار، فهو متصل بصفات الكمال، لا يقال: إن الله تعالى لم يتصف بصفة من صفات الكمال إلا لاحقا لا؛ بل الله متصف بالصفات وتعالى صفات الكمال عزّ اسمه.

والصفات يقسمها الذي نتحدث فيها إلى قسمين:

القسم الأول: صفات ذاتية: وإذا قيل صفات ذاتية هي التي تكون ملازمة لذات الله، كالعلم والحياة والقدرة ونحو ذلك، فهو لم يزل ولا يزال متصفا بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

القسم الثاني: وهناك صفات يسمونها الصفات الاختيارية: وهي التي تكون حسب مشيئته، فإذا شاء اتّصف بها كنزوله عَزَّوَجَلَّ في الثلث الأخير من الليل تحديدًا؛ لأن هذا راجع إلى مشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا هو المراد أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى تثبت له الصفات جميعا.

ولا يقال إن الله تعالى لم يتصف بوصف كمال كان مسلوبا منه حاشاه تعالى ثم اتصف به، وهذا هو مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإن كان العبارة كان ينبغي أن تكون أكثر تدقيقا للحقيقة لأن مثل هذه العبارات أيضًا مما دخل من خلاله الشراح الذين أرادوا الإبطال على الطحاوي من خلالها؛ لكن هي من حيث ما وجه الشارع رحمه تعالى معروف مراد الطحاوي بها، أن الله تعالى متصف بصفات الكمال قبل أن يخلق الخلق، ما يقال إن الله تعالى اتصف بصفات الكمال بعد أن خلق الخلق، فإن الله تعالى خلق الخلق في وقت وهو تعالى قبل الجميع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو متصف بهذه الصفات قبل أن يخلقه، ولا يقال إنه صارت

له صفات الكمال بعد أن خلقهم معاذ الله من ذلك.

وهذا هو مراده لما قال: «مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلِقِهِ».

قوله: «لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ»؛ أي: بكون المخلوقين.

قوله: «لَمْ يَزْدَدْ شيئا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ»؛ لأن له صفات الكمال عز اسمه قبل خلقهم.

قوله: «كَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا»؛ أي: أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى متصف بصفات الكمال، دائمًا وهو كذلك إلى ما لاحد له متصف بهذه الصفات عَزَّوَجَلَّ.

❁ قال المصنف: «لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الْخَلْقِ اسْتَفَادَ اسم: الْخَالِق، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسم: الْبَارِي».

المراد هو أن الله تعالى يسمى بـ «الخالق» قبل خلقه الخلق، فهذا الاسم العظيم له تعالى وهو مستحق له تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولا يقال إنه استحق هذا الاسم بعد أن خلق الخلق.

وهكذا اسمه: «الْبَارِي» لا يقال إنه استحق هذا الاسم بعد أن برأ البرية بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له هذه الأسماء، قبل خلق الخلق وقبل إحداث البرية.

❁ قال المصنف: «لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ».

أي: أن الله موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد المربوب: المخلوق، وموصوف بأنه «الْخَالِقِ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قبل أن توجد المخلوقات، هذا هو المراد، أي: إتمامًا لما تقدّم، أن له «مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ» وإن لم يوجد مربوب يربه سبحانه.

وهو «الْخَالِقِ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإن لم يوجد «مَخْلُوقَ»، أي: أن هذه أسماءه تَبَارَكَ وَتَعَالَى قبل خلقه الخلق.

❁ قال المصنف: «وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ».

إحياء الموتى: الإحياء العام الذي يكون في القيامة هذا الإحياء العام المقصود الذي يكون في القيامة لا شك أن هذا لم يقع وإنما يقع الأحياء العام ببعث الخلائق يقول ومع ذلك فهو مستحق لاسم المحيي

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو «مُحْيِي الْمَوْتَى» قبل أن يحييهم هذا مراده فكما أنه هو «مُحْيِي الْمَوْتَى» بعد ما يحييهم فهو مستحق لهذا الاسم وهو «مُحْيِي الْمَوْتَى» قبل إحيائهم يقول كذلك الحال في اسم «الْخَالِقِ» هو «الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ **قال المصنف:** «ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عليه يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ».

قوله: «ذَلِكَ»، إشارة إلى ما تقدم من جهة استحقاقه تعالى هذه الأوصاف وهذه الأسماء لأَنَّهُ: «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» سبحانه وبحمده وأن كل شيء إلى الله فهو مفتقر إلى الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] .

قوله: «وَكُلُّ أَمْرٍ»، على الله تعالى فهو «يَسِيرٌ»؛ ولهذا قال تعالى في أكثر من موطن مثل إنشاء الخلق وتقدير القدر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، يسير أمر الخلائق كلها أن تبعث جميعا وكون الله عَزَّوَجَلَّ قدر المقادير، ما تقع من أدنى الأمور أو كبارها إلا في كتاب عند رب العالمين ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠] .

وهكذا الخلائق يحييها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويبيّن أن ذلك «عليه يَسِيرٌ».

قوله: «لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ»، فالله تعالى غير محتاج؛ بل كل شيء فهو محتاج إلى الله تعالى ثم ختم بالآية العامة «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ».

كل هذه الأمور لأن الله تعالى لا يماثله شيء، أما ما سوى الله فإنه ليس على كل شيء قدير قطعا وإنما يقدر أمور دون أمور ولا شك أنه مفتقر يفتقر الجميع مفتقر إلى الله وقد يفتقر الخلائق بعضهم إلى بعض ولا شك أن ثمة أمورا تعسر على الناس يعجزون عنها عجزا تاما.

ولهذا **قال:** «وَكُلُّ أَمْرٍ عليه يَسِيرٌ».

قوله: «لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ»، كل من سوى الله فهو يحتاج.

قوله: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]»، الجامع لهذه الأمور العظام أن الله تعالى: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]».

❁ **قال المصنف:** «خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا».

بدأ في الكلام على ما يتعلق بالمخلوقين، أن الله تعالى خلقهم أوجدهم وأنشأهم بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، على الحال خلقهم بعلمه أي خلقهم عالما بهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا»، هؤلاء الخلائق قدر لها أقدارا حتى مثل هذه الدواب الصغيرة، التي في جحورها، هذه لها أقدار معينة، قدّرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أرزاقها ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود:٦]، -**سبحان الله العظيم**- إذا نظرت إلى هذه النملة أو هذه الذرة الصغيرة وهي تمضي، هذه قد علم سبحانه رزقها وعلم المستقر الذي تستقر إليه، وعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر فنائها ورزقها عليه سبحانه وبحمده، فقدّر تعالى هذه الأقدار كما قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

قوله: «وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا»؛ لأنه قدر آجال لهذه الخلائق، إذا جاء أجل المخلوق فإنه لا يستأخر ساعة عن هذا الأجل ولا يستقدم وإنما أجل محدد جعله الله له ينتهي عنده.

❁ **قال المصنف:** «وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ».

لم يخفَ على الله تعالى شيء كمال علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل أن يخلق هؤلاء الخلائق، وقد علم ما الخلائق عاملون قبل أن يعملوا وقبل أن يخلقوا، قد علم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الخلائق أن هؤلاء سيعملون بعمل أهل الجنة، وأولئك سيعملون بعمل أهل النار، وعلم أعمالهم كلها قبل أن يخلقهم وقبل أن يعملوا، وقبل أن يخلقوا فعلمه تعالى سابق، ثم إنه تعالى وبه يعلم أن علم الله تعالى شامل لما كان، **أي:** في السابق، ولما يكون في الحاضر ولما سيكون في المستقبل؟ بل يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأمر الذي لم يكن لو أنه كان كيف يكون؟

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧]،

قال تعالى بيانا لبطلان كلامهم، وأنهم لو حقق لهم هذا الذي حقق لعادوا إلى نفس الشر الذي كانوا فيه، ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾ [الأنعام:٢٨]، فعلم تعالى الأمر الذي لا يكون لو أنه كان كيف يكون؟ ومنه هذه الآية ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟﴾ [الأنعام:٢٨] ، مع أنهم لن يردوا لكن الله يعلم أنهم لو ردوا وهم لن يردوا يعلم أنهم لو ردوا لعادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك والفساد.

قوله: «وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ»، ذكر الأمر والنهي بعد ذكر الخلق والقدر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته.

كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فالله تعالى خلق الخلائق ليعبدوه، وتحقيقهم لعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بأن يؤدوا ما أمرهم به وأن يكفوا عن معصيته وأعظم ما أمرهم به التوحيد وأعظم ما نهاهم عنه الشرك وهكذا يلتزمون بقية أوامره ويجتنبون بقية نواهيه.

۞ قال المصنف: «وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ، إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ».

للعبد مشيئة، وهذه المشيئة هي التي بناء عليها والمقدرة، يحاسب ويعاقب.

قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨] فأثبت للعبد المشيئة؛ لكن هذه المشيئة لا يمكن أن تنفذ إلا إذا شاء الله، فلا يمكن أن يتحقق العبد أمر من الخير أو الشر، إلا إذا شاء الله له ذلك، ولهذا يشاء العباد أمورا ويحكمون التخطيط لها، ويعدون الإعداد التام لها، ولكنها لا تتحقق؛ لأن الله لم يشأ ذلك.

كما قال الشاعر:

[فما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن]

وهذا أمر يدركه الإنسان من حياته في مواضع: موطن عبرة، يقدر الإنسان لأمر معين يخطط له يحدد يوما وساعة لأمر سينفذه، ولا يبقى شيء من الأمور يكون قد قصر فيه، فتأتي مشيئة الله لتردّ مشيئة العبد، ولأجل ذلك العبد في مثل هذه الحالة إذا أتاه الله تعالى التوفيق رضي بقدر الله تعالى وعلم أن ما اختاره الله خيرٌ مما كان قد اختاره لنفسه، أما ما سواه فالعبد الجاهل يظل يلوم ويتسخط كون الله يمنعك من أمر

قد أعددت له هذا الإعداد الكثير ينبغي أن تحسن بالله تعالى الظن وأن الله تعالى صرفك عنه لخير لك في دينك أو دنياك.

فقد يرتب الإنسان سفرًا ويُعِدُّ لهُ غايةَ الإعداد ثم يشاء الله تعالى ألا يتيسر له أمرُ السفر؛ لأن مشيئة العبد لا يمكن أن تتحقق إلا إذا شاءَ اللهَ تعالى لهُ ذلك، فلأجل ذلك قال في مثل هذا الموطن بيانًا لكون مشيئةِ الله تعالى هي التي تنفُذ فإن مشيئة العباد يسعون فيها ويخططون ما شاءوا لكن لا يمكن أن تنفُذ إلا مشيئةُ الله، فإذا شاءَ الله لك تمت مشيئَتُك وإذا لم يشأ رُدّتْ مشيئَتُك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، «فَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: «وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ، إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ»، **أي:** العباد لهم مشيئة بلا شك؛ لكن لا يُمكِنُ أن تتمَّ مشيئَةُ العباد إلا إذا شاء الله، «فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ».

قال المصنف: «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ، بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ».

من أراد الله تعالى هدايته فذلك فضلٌ منهُ ومنّه وكرم؛ ولهذا أهل الجنة إذا دخلوها ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فالفضل لله عَزَّوَجَلَّ الذي هدى العبد للعمل الصالح ثم فضلهُ تعالى أن قَبِلَ العملَ الصالح؛ لأن العمل الصالح قد تعمَلُهُ لكن الكلام على قَبُولِ الله هل قَبِلَهُ اللهُ أو لا حتى لو عملت؟ هذا العمل موقوف عن القَبُول.

والله تعالى يقول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، فلا بُدّ من أن يَتَقَبَّلَهُ الله، أما إذا لم يَتَقَبَّلَهُ الله فلن تنتفع، ثم إذا تَقَبَّلَهُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فإنه إن شكر فِعْلَكَ دخلتَ الجنة، معنى شكر الله تعالى لِفِعْلِك أن يُجَازِيَكَ أكثر مِمَّا تَسْتَحِقّ في العمل لأن العمل لا يمكن أن يكون مُقَابِلًا للجنة.

كما في الحديث قال: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٍ» مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزكى الناس عملا، ومع أن جميع أجور الأمة، مكتوبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو الذي دل الأمة على هذا الهدى، ومع ذلك فكل هذا العمل الهائل العظيم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الأجور الكثيرة المكتوبة لهُ لا يمكن أن تكون عِدْلًا

للجنة، ما يمكن أن يكون العمل عِدْلًا للجنة.

فلأجل ذلك العبد بحاجة إلى فضل الله أولا ليعينَهُ على نفسه حتى يُسْتَعْمَلَ في طاعة الله.

ثم هو بحاجة إلى فضل الله لِيَتَقَبَّلَ منهُ العمل.

ثم هو بحاجة إلى أن لا يجعلَ اللهُ تعالى العبدَ مَوكُولًا إلى عمله، حتى لو صام النهار وقام الليل، واعتزل في رأس جبل لا يُؤذِي أحدًا ولا يُؤذِيهِ أحد، لا يمكن أن يكون هذا العمل مُقَابِلًا تدخل به الجنة.

فلأجل ذلك العبد بحاجة إلى فضل الله في هذا كله، فمن هداه فذلك لفضله تعالى وإحسانه ومنته وكرمه، ومن أضله الله ولم يهده فالله لا يظلم أحدا، ما أضله الله إلا لأن هذا العبد مَسْتَحِقٌّ لِلإِضْلَالَ، والله تعالى يقول: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣].

ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الهلكة: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، فالله يخذل من يشاء ويضله؛ لأن هذا العبد غيرُ أهلٍ للهداية.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، يقول أهلُ العلم: وكذلك هو أعلمُ حيثُ يجعلُ هدايته، وهو لا يهدي أي أحد، فالهداية فضل كبير من رب العالمين سبحانه ومنة، هي أعظم منة على الإطلاق، وأكبر فضل على الإطلاق، ولو عاش الإنسان فقيرًا مريضًا خائفًا حياته كلها حتى لقي الله، في حال من البؤس والشقاء والخوف ولقي الله على الهدى فإنه في منّةٍ ونعمةٍ من الله وفضل لا يمكن أن يقارن بحال من كانوا على أثرى ما يكون في حياتهم وعلى أصح ما يكون ثم يهلك الواحد منهم فيكون من جُثِي جهنم، فالفضل لله عَزَّوَجَلَّ والمنة له، وهذا يعطي الرجل المتدين وطالب العلم فائدة: الافتقار، الافتقار لله، في أن يثبِّته بالقول الثابت، وألا يُزِيغَه في هؤلاء الزائغين، الذين علموا الحق وعرفوه، وتبين لهم الباطل وتَنكّبُوه، ثم إنهم عادوا عن الحق وركبوا الباطل، رَأيًا عين فيسأل العبد ربه أن يثبته وألا يُزِيغَهُ في الزائغين؛ لأن هذه المنة هي أجل ما منَّ الله تعالى به على عباده، أعظم من الصحة وأعظم من الأمن وأعظم من الثراء، وأعظم من كل شيء؛ لأن هذا فضل من الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الفضل لن ينفعك إلا إذا ثَبَتَّ عليه حتى لَقِيتَ الله تعالى به، كما في الحديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**»، فإذا ختم للعبد بهذا لقي الله تعالى وهو من السعداء.

إما إن ضَلّ فإنه لو ضَلَّ في آخر حياته لو بَقِيَ ساعةً واحدة، على ضلال فإنه يَلْقَى الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الذي خُتِمَ به، وهذا يُعطِي العبد: الافتقار، ويُعطِي صاحب الدين: الخوف على تَدَيُّنِه، وألا يجعل تَدَيُّنَهُ عُرضة للزيغ، كما حصل لأُناس اقتحمُوا الشبهات اقتحمُوا الضلالات بحثوا عنها اشتَرَوْا كُتُبَهَا تَابعوا قَنَوَاتِها حتى هلكوا وضلوا وقد نُهُوا عن هذا نُهُوا عن أن يُعَرِّضُوا دينهم لها، إذا كان الإنسان يحرص على سلامة بدنه وسلامة حياته من قطاع الطريق وممن قد يضرونه فكيف يكون دينه بهذا الرخص؟ أن يُعَرِّضَ دينه لهذه الشبهات التي أهلكت من أهلكت وأضلت من أضلت حتى تجد من زاغوا نعوذ بالله يتحدث عن سابق فترة تدينه وكأنه قد اهتدى من ضلال، تحدث عما كان عليه، كنا في الفترة السابقة نفعل ونفعل سبحان الله، انظر كيف الزيغ.

أي: كما أن الإنسان بعدما خرج من الفواحش وشرب الخمور والفساد إلى الهداية يقول أحمد الله وأثني عليه على ما خلصني من تلك البلايا هذا الذي انتكس يتحدث عن نعمة الله تعالى عليه حين كان يقوم وحين كان يصوم وحين كان ملازما للسنة يتحدث كأنه هُدِي كأنه تخَلَّص.

إذا انتكس الإنسان لا تعجب من أي مقالة يقولها.

قد سمعت من حال هذين المنتكسين نعوذ بالله من الزيغ كيف أن الواحد منهم يتحدث كأنه قد فَكَّ من رِبَاط، كأنه كان على حال من التِيه والضياع، ثم اهتدى، اهتدى إلى ماذا؟ اهتدى إلى المذاهب العفنة القذرة من ليبرالية أو وجودية أو عموم هذه العفانات العلمانية وصار الواحد منهم يتحدث عن نفسه وكأنه قد اهتدى كالذي كان ضالا ثم اهتدى، يتحدث عن سابق عهده ويسخر من حاله السابق وممن كانوا مستقيمين لا يزالون على ما هم عليه، هذا لما يقال إن الأمر لله عَزَّوَجَلَّ الإنسان يفتقر إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى لا يضل، يُقْضَى على الأمر في أيام مِحْنَتِهِ حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن.

والله تعالى يقول: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨]، ويرى الآن أنه في حال من النعمة والعافية، وأن الحال الذي كان فيها حالًا كئيبا مر به وأنه تخلص منه وأنه في حال من النعمة، أي نعمة؟

لكن إذا انتكس القلب وضل العبد، رأى السوء حسنا، ورأى الحسن سوءا، ولأن الإنسان بحاجة إلى الافتقار لله عَزَّوَجَلَّ، الذي تفضل عليه بهذه السنة وبهذا الدين أن يثبته بالقول الثابت، وألا يزيغ في الزائغ لأن الأمر في الهداية فضل «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا» فضل من الله.

وهكذا يثبت هذا الذي عافاه وعصمه وهداه «فَضْلًا»، فيسأل الله الهداية والثبات وألا يُزِيغَهُ في الزائغين.

قوله: «وَكُلُّهُمْ» أي: الخلائق «يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ، بَيْنَ فَضْلِهِ» إذا هو هداهم، وبين «وَعَدْلِهِ»، إذا هو أضلهم لأنه إذا أضل أحدًا أضله بعدل، وإذا هدى أحدًا هداه بفضل.

فالخلق بين فضل وبين عدل، والله قد نزّه نفسه عن أدنى الظلم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: ٤٠].

وهذه مواضع الحقيقة تعطي طالب العلم فائدة العقيدة.

فائدة العقيدة علاج حقيقي للقلب، ليس العلاج الحقيقي للقلب أيها الإخوة تُرَّهَاتِ الصوفية، وأناشيدهم وخُزَعبَلَاتُهُم العلاج الحقيقي للقلب هو معرفةُ الله تعالى، ومعرفة أن الأمور والفضائل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن حفظ هذه الفضائل وتثبيتَهَا منه، فيلجأ العبد إلى الله تعالى في صلاح قلبه وصلاح حاله وتثبيته بالقول الثابت كما أن الله من عليه أن يثبته حتى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ على هذا الحال، ولهذا الأمر كله راجع إلى فضل الله تعالى، وإلى كون الإنسان يستحضر افتقاره إلى رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحاجته إلى أن يثبته على ما هو عليه، وأن لا يمشي بقدميه ويسعى إلى الضلال والتيه، ثم يقول ما الذي بدا لي؟ ما الذي غير قلبي؟ أنت الذي غيرت قلبك، أنت الذي تسببت والله تعالى قد يعاقب العبد عقوبة أعظم من عقوبات الأبدان وهي العقوبة في القلب.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**»، دجال: أعور العين اليمنى، كذاب، يقول: إني نبي في البداية، ثم يقول: أنا ربكم، يأكل ويشرب ويتخلى وينام، ومع ذلك يتابعه من لا يحصيهم إلا الله.

يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الدجال الذي قد كتب في وجهه أنه كافر وأعور عين اليمنى: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**»، يبعد عنه، «**فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ، يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، ثُمَّ مَا يَلْبَثُ أَنْ يَتْبَعَهُ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»، أو كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أنه دجال كذاب، يقول أنا ربكم وهو أعور، وقد جعل الله تعالى هذا العور علامة على أنه مخلوق مربوب، لأجل ذلك عورت عينه ولم يستطع فعله شيء.

ولهذا: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»، ومع ذلك يتبعه العدد الهائل، فهؤلاء الذين اقتحموا الشبهات، ودخلوا في هذا التيه وضلوا، هُمُ الذين سعوْا بأقدامهم إلى إهلاك أنفسهم، وقد

خالفوا ما أوجب الله تعالى عليهم من عدم اقتحام الشبهات.

فلما وقعوا فيما وقعوا فيه، صارت العاقبة ما رأيت، وصار الأمر سعة أفق، اطلاع على ما عند غيري، تطلع على ما عند غيرك، وأنت كما قال الإمام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب يقول: ما عندك سلاح؟ حتى أن بعض من ضل، نعوذ بالله من الزيغ، ضلوا، سبحان الله على يد أناس من أتفه، وأقل الناس دراية حتى بالمذاهب الوضعية الحديثة، ليس عندهم أدنى معرفة بها، وإن كانوا يكثرون الانتساب إليها، ما يفهمونها، إنما هي مجرد صيحات يصيحونها؛ لكن لا يعرفونها، ثم ضل هؤلاء على أيديهم، وزعموا أن الاعتدال الحقيقي هو في الانفلات من هذا التدين، وسموا ما هم فيه سموه هو الاعتدال، الذي ينبغي على العبد أن يستحضر اللجوء لله، والافتقار إلى الله، وألا يسعى إلى إضلالِ نفسهِ وإزاغةِ قلبهِ بالدخول في مثل هذه المتاهات، وإلا فإنه يجِدُ الجزاء الوفاق على ما فعل بنفسه.

قال المصنف: «وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ».

قوله: «مُتَعَالٍ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «عَنِ الْأَضْدَادِ»؛ **الضد هو:** المخالف، «وَالْأَنْدَادِ»؛ واحدها: **النّد وهو:** المثل، فهو تعالى يتعالى عن ضِدٍّ يخالفُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويكون لمخالفتهِ شأنٌ، الذي يخالف الله يضر نفسه، أما أن يكون في مقام أن يضرَّ الله، فالله تعالى لا يمكن أن يضرَّهُ مخلوق.

وهو تعالى أيضًا متعالٍ عن الأنداد، أن يكون له مثل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذلك ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤] .

قوله: «لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ»، إذا الله تعالى قضى قضاءً فإنه لا يرد، كما في الحديث: «**إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ**»، فإذا قضى الله تعالى الأمر وقع وتحقق.

قوله: «وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ»، قال الطبري في قوله تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد:٤١] أي لا راد لحكمه، والمعقب هو الذي يَكِرُّ على الشيء.

وأرجعها أيضًا البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد:٤١] ، بقوله: «لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ» ولا ناقض لحكمه.

فليس يتعقب حكم الله تعالى أحد بنقصٍ أو تغيير.

قوله: «**وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ**»، الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ [الطلاق:٣]، فالله تعالى أمرُهُ هو الذي يغلب، ولذلك جاء عن كعب ابن مالك رضي الله عنه عير كفار قريش بقوله:

[زعمت سُخَيْنَةَ أن ستغلِبُ ربَّها ... وليُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ]

فجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَقَدْ شَكَرَكَ اللهُ يَا كَعْبُ عَلَى قَوْلِكَ هَذَا**»، قول عظيم.

سُخَيْنَةَ، هي: قريش، كانت العرب تُعَيِّرُهَا بـ: سُخَيْنَةَ، وهذا قطعا قبل أن تسلم قريش، هذا المقصود، فكان يذمها يقول:

[زعمت سُخَيْنَةَ أن ستغلِبُ ربَّها ... وليُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ]

الذي يُغَالِبُ الله تعالى هو الذي سيُغلب، إذ: «**لَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ**» تعالى، و: «**لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ**».

۞ **قال المصنف:** «**آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ**».

نؤمن بهذا إيمانًا تامًا ونُوقِنُ بهِ اليقين الذي لا يتزعزع، وأن الأمور لله تبارك وتعالى وأن كل شيء من عند رب العالمين.

وختم بذلك الكلام على القسم الأول المرتبط بالرب سبحانه وتعالى من جهةِ توحيدهِ ومن جهةِ ما يُوصفُ بهِ، ثم يأتي الكلام على شهادةِ أنَّ محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

۞ **قال المصنف:** «**وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى**».

ذكر ما يتعلق بنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وأنه عبدٌ ونبيٌّ ورسول.

عبد: كما سماه الله تبارك وتعالى في أكثر من موضع، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء:١].

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن:١٩] إلى غير ذلك من المواضع، ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر:٣٦].

وأنهُ نبيُّ اللهِ ورسولُهُ، فهو: نبيٌّ، رسول صلى الله عليه وسلم.

تكلم أهل العلم عن **الفرق بين النبي والرسول**، كثير منهم يقول:

- **النبي**: من أُوحِيَ إليه بشرعٍ؛ لكن لم يُؤمر بتبليغه.
- **الرسول**: من أُوحِيَ إليه بشرعٍ وأمر بتبليغه.

فالفارق عندهم هو: التبليغ، فإن بلغ فهو رسول، وإن أُوحِيَ إليه بشرعٍ لكن ما أمر بتبليغه فهو نبي، **أي**: أنبئ، نبأ، أخبر، فجاءته النبوة لكن لم يؤمر بالبلاغ، فإذا أمر بالبلاغ فقد أرسل، طلب منه أن يذهب إلى قوم فإنه يكون رسولا.

والذي يظهر والله أعلم أن الفرق بينهما كما **حرره شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «النبوات»:

النبي، والرسول لا بُدّ من أن يبعثا، لا بُدّ أن يرسل هذا الذي أنبئ، أنبئ ليبلغ، فجعل الضابط أن هذا يبلغ وذاك لا يبلغ الصواب إن شاء الله أن النبي يرسل كما أن الرسول يرسل، واستدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ فذكر إرسالا يعم النوعين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج:٥٢] الآية فبين بذلك أن الرسول يرسل وأن النبي يرسل أيضًا .

❁ ما الفارق إذًا؟!

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ **الفارق**:

أن الرسول يبعث إلى مخالفين، كفار.

أمّا النبي فإنه يبعث إلى مؤمنين فيكون بمثابة المجدد لرسالة من قبله، قال وعلى ذلك أنبياء بني إسرائيل، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ [المائدة:٤٤] .

قال: التوراة أنزلت على موسى، وموسى قطعًا رسول، مع ذلك فالنبيون يحكمون بالتوراة؛ لأن أنبياء بني إسرائيل بعد موسى تابعون لموسى، لأنهم كانوا يبعثون في بني إسرائيل، يقول: فيكون النبي بمثابة المجدد، لرسالة الرسول قبله، فالضابط أن يكون الرسول مبعوثًا إلى كفار، فمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ سيد الرسل بعث إلى كفار، موسى بعث إلى كفار، عيسى بعث إلى كفار.

قال: فيكون هؤلاء من الرسل، وهكذا إبراهيم ونوح.

يقول: أما أنبياء بني إسرائيل فإنه يطلق على الواحد منهم النبي لأنه مبعوث إلى مؤمنين، يقول هذا هو الفارق بينهم.

وهل يشترط أن يأتي الرسول برسالة جديدة؟

بعض أهل العلم قال ذلك، يقول فارق أن الرسول يأتي برسالة جديدة، والنبي يكون تابعا لمن قبله، يقول ليس لازما فإن يوسف رسول؛ لأنه بعث إلى كفار، ومع ذلك كان على شرع إبراهيم، ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف:٣٨]، وهذا الذي يظهر والله أعلم أنه هو المتحرر، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له وصفُ النبوة لأن الله أنبأه وله وصفُ الرسالة.

قوله: «**الْمُصْطَفَى**»، «**الْمُجْتَبَى**»، «**الْمُرْتَضَى**»، فالاصطفاء، والاجتباء، والارتضاء متقاربات المعاني كما ذكر الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال المصنف: «وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب».

ذكر هنا ما يتعلق أيضًا بكونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يختلف عن جميع الرسل السابقين؛ لأن الله ختم به النبوة، فلأجل ذلك هو أفضل الأنبياء، والله عَزَّوَجَلَّ ختم النبوة بأفضل ختاما، وهو رسول الله صلى وسلم كما قال تعالى في شأنه ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، فهو خاتم الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم أجمعين.

ولهذا: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»، فهو العاقب ليس بعده نبي بتاتا.

قوله: «**وإمام الأتقياء**»، كل من اتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتدى به فهو تقي، فهو يأتي بالقيامة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمامًا لهؤلاء الأتقياء، المتقي: الذي يتقي الله عَزَّوَجَلَّ، فهو أمام الأتقياء سيد الأتقياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإمامهم، وسيد المرسلين، كما في الحديث: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث رواه مسلم، فهو سيد الناس أجمعين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومنهم الرسل هو سيدهم صلوات الله وسلامه عليه، فهذه من الأوصاف التي تكون لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **قال المصنف:** «وسيد المرسلين وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

قوله: «وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، محبة رب العالمين للمؤمنين جميعا ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٤] الآية.

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ له أعظم أنواع المحبة وهي الخُلّة وهي التي كانت لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥]، وثبت عنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»، فهو ليس مجرد حبيبٍ لرب العالمين فقط، بل بلغ مرتبة الخُلّة ولهذا أفضل الأنبياء أجمعين إبراهيمُ ومحمد صلى الله عليهم وسلم لأنهما خليلا الله، وأفضلُ الخليلين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، لا شك أنه حبيب رب لكن التعبير بالخُلّة التي هي دالة على أعظم درجات المحبة هو الذي يستحقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

❁ **قال المصنف:** «وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغَيٌّ وَهَوًى، وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى، بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ».

كل دعوى نبوة أي أحد يدعي أنه قد نبئ «فَغَيٌّ» والغي ضد الرشاد.

قوله: «وَهَوًى» **أي**: صدر منه من هوى نفسه.

وقد أجمعت الأمة على ختم النبوةِ بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فمن ادعى النبوةَ لنفسه، أو صدق من تنبأ فهو: كافر بإجماع المسلمين.

ولهذا: أفتى أهل العلم بكفر الطائفة القاديانية الموجودة في الهند وفي أفريقيا وفي بعض البلدان حين صدقوا المفسد في أرض الله غلام أحمد القادياني، الذي زعم أنه نبي نعوذ بالله، وكان ذلك برعاية أعداء الله، من المحتلين البريطانيين، ولا يزالون يرعون هذه الطائفة الخبيثة إلى الآن، فأرادوا أن يوجدوا في المسلمين إشكالًا، فوجدوا هذا الفاجر، فزعم أنه أُوحِيَ إليه، واجتمع عليه الجهلة، دعموه بكل ما يمكن أن يدعم، حتى انتشر قوله الخبيث وصدقه، ولا يزال يصدقه مجموعة للأسف يبلغون ملايين في الهند وفي أفريقيا في غيرها، فهؤلاء ليسوا من المسلمين أصلا، ولا يحل أن يعدوا ضمن أعداد المسلمين، ديانة مستقلة، ليس للمسلم بها أي علاقة، أفتى بهذا أهل العلمن ولا شك أنها مسألة من

الموضوع بمكان، شخص يدعي النبوة، ويصدقه هؤلاء الكفرة، فكل من ادعى النبوة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافر، وكل من صدق مُدَّعِي النُبوة فهو كافر بإجماع المسلمين، ما أحد يتردد في هذا.

قوله: «**وَهُوَ الْمَبْعُوثُ**» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ**» جميع الجن، والأنس مبعوث إليهم.

كما بيّن عَزَّوَجَلَّ في سورة الجن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن:١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف:٣٠] الآيات، فالحاصل أنه مبعوث إلى الجن وإلى الأنس قطعًا.

ولهذا: كان الأنبياءُ قبلهُ يُبعثونَ إلى قومهم خاصة ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا﴾ [الأعراف:٧٣] يخاطب قومه.

أما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمره الله تعالى أن يخاطب الناس، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] فهو مرسل إلى جميع الجن والإنس صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: «**وَكَافَّةِ الْوَرَى**» نَبَّه الشارع رَحِمَهُ اللَّهُ إلى فائدة لغوية: أن «**كَافَّةِ**» لا تأتي بهذه الصيغة في اللغة، «**كَافَّةِ**» تأتي حالا.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨]، يعني ما نقول: جاء كافة الطلاب، نقول: جاء الطلاب كافة، من باب التنبيه إلى أن إطلاق كلمة: «**وَكَافَّةِ الْوَرَى**» من ناحية السبك اللغوي الأصل أن «**كَافَّةِ**» تستعمل حالا.

بعثه الله بماذا؟ بالحق والهدى وبالنور والضياء، هذا مما سمى الله تعالى ما بعث به نبيهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة:١١٩]، و﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة:٣٣]، وهكذا بعثه الله تعالى بالنور وبالضياء، أي: أن الله بعث نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الخير العظيم.

❁ **قال المصنف:** «وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ.

فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ. وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ. فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ. وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ. وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ».

تحدث هنا عن الاعتقاد في القرآن، وإن القرآن كلام الله كما قال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، فالقرآن هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «مِنْهُ بَدَأَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا» منه بدأ لأن الله تعالى هو الذي تكلم به، ابتداءً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وسمعه جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونزل به إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالله هو الذي ابتدأ بالقرآن تكلم به هو الذي قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢]، والذي قال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١-٢] فهو كلام الله لفظهُ ومعناه.

لهذا قال: «وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ».

قوله: «مِنْهُ بَدَأَ»؛ لأن الله تعالى هو الذي تكلَّمَ به.

قوله: «مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا»؛ **أي:** أن الله تعالى هو الذي قاله.

قوله: «وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَحْيًا»؛ لأن الله تعالى بعد ما تكلم به «قَوْلًا» والمقصود **بقوله:** «قَوْلًا» الرد على المعتزلة وغيرهم، ممن يزعمون أن القرآن لم يبدو منه تعالى، ثم أكد هذا **بقوله:** «قَوْلًا»، كما قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال هذه الألفاظ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالقرآن كلام الله بلفظه ومعناه.

قوله: «وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَحْيًا وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ» هذا الموضع مهم جدًّا، في قوله «بِالْحَقِيقَةِ»؛ لأن فيه ردًا على الأشاعرة، وعلى الكلابية، جميعا، في جميع طوائفهم.

الكلابية والأشاعرة يقولون: هذا القرآن: عبارةٌ عن كلام الله، أو: حكايةٌ لكلام الله، ومرادهم أن هذا الذي نقرؤه ليس كلام الله، وعندهم اعتقادٌ فاسد، أن كلامَ الله معنًى قائم بالله عَزَّوَجَلَّ، وأن جبريل هو الذي عبَّرَ عن المعنى بهذه الألفاظ أو عبَّرَ به محمد، وبالتالي فهذه الألفاظ ليست من الله، وهذا من أقبح وأخبث الاعتقاد، وأردى من اعتقاد المعتزلة، فإن المعتزلة وإن قالوا قبحهم الله بخلق القرآن لكنهم يقولون هذا القرآن كلام الله، إذا قيل هذا القرآن ليس كلام الله ولكنه عبارةٌ عن كلام الله، أو حكايةٌ لكلام الله، فمقتضى هذا أن هذا الذي نقرؤه ليس كلام الله، ولأجل ذلك ركز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا، **فقال**: «**وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ**»، **أي**: أن الله تعالى تكلم بالقرآن، وأن هذا هو القرآن كلام الله لفظُهُ ومعناه من عند الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة من عند تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا الموضع نفيس كما قلنا لأن فيه ردًا على الكلابية وعلي الأشعرية الذين أراد من أراد من ضُلّال هؤلاء أن يشرحوا عقيدةِ أبي جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على وفق اعتقادهم، ولا سيما من الألفاظ المجملة، هذا الموطن مما يرد كلامه.

وكذلك **قوله**: **في الغضب والرضا** كما سيأتي إن شاء الله تعالى لأنهم لا يقولون بالعقيدة الصحيحة في الغضب والرضا، فمثل هذه المواطن الموجودة في الطحاوية مفيدة حتى يُعلم بها صحةُ اعتقادهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنهُ مُنَابِذٌ ومُبَايِنٌ لهؤلاء الذين يزعمون أن أبا جعفر على مقُولتهم.

قوله: «**لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ**»؛ لأن كلام البرية مخلوق.

قوله: «**فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ**»، وهذا واضحٌ جدًّا في إنكارهِ القول بالعبارة والحكاية، **يقول**: **من سمع هذا القرآن، وزعم أنه كلام البشر**، كما يقول من يقولون إن محمدًا عبَّرَ عن المعنى القائم بالله، أو حكى المعنى القائم بالله بهذه الألفاظ.

قوله: «**فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦] »**؛ لأن هذه المقالة «﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] » كلمة الوليد ابن المغيرة، فإنه قال في كتاب الله «﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] »، يقول أبو جعفر، ويقول أئمة السنة عمومًا: إن من قال بهذا القول يكون في باطله قد شابه قول ذاك الذي **قال**: «﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] »؛ بل هذا قول الله وكلام الله.

ولهذا: قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، هذا

كلام الله، إذا قيل: إن كلام الله هو: المعنى القائم بالله، المعنى لا يُسمع، إنما الذي يُسمع ما يُتلى هذا، فقوله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] .

يقول الإمام أحمد: كلام من يسمع؟ إذا زعم زاعم أن الكلام هو المعنى، هذا الذي أتى إلينا لنُسمِعَهُ كلام الله لنُسمِعَهُ القرآن، نسمع كلام من؟ هو كلام الله، فالقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

ولأجل ذلك قال: إن من قال: إن هذا القرآن عبَّرَ به البشر، **أي:** عبَّرَ به محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يقول: فقد «**أَوْعَدَهُ**» الله تعالى «**بِسَقَرَ**».

قوله: «**فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ:** ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] »، هكذا بالجر: «**لِمَنْ قَالَ**»، والجادة أن يقال: «**فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ**» من؟ «**قَالَ:** ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، **عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ**»، لا شك ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]، ولأجل ذلك لأنه كلام الله فإنه ليس لك أن تقرأه وأنت جنب، ولأنه كلام الله فليس لك أن تمس المصحف وأنت متلبس بأحد الحدثين الأكبر أو الأصغر؛ لأنه كلام الله «**وَلَا يُشْبِهُ**» كلام «**الْبَشَرِ**»، معاذ الله أن يشبه كلام البشر، القرآن العظيم الذي تكلم به رب العالمين، كيف يقال مثل كلام البشر؟ علمنا بذلك الاعتقاد في القرآن، الاعتقاد في القرآن أن هذا القرآن كلام الله، بلفظهِ ومعناه، وأن الله تعالى تكلم به بصوتٍ مسموع، سمعهُ جبريل ونزل به على محمد ويثبت لله تعالى الصوت.

كما في الحديث: «**أَنَّ اللهَ يُنَادِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ**» وهذا في القيامة، وفي الحديث: «**إِنَّ اللهَ تعالى إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ رِعْدَةً، ثُمَّ غُشِيَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ كَلَامِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»، فلا شك أن الله تعالى يتكلم وأن كلامه بصوت مسموع، فالقرآن كلام الله بلفظه ومعناه لا كما تقول الكلابية وأضرابهم إنه المعنى دون اللفظ وهو غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فقد كفر بإجماع أهل السنة، كما هو قول الجهمية والمعتزلة، بل هو كلام الله تعالى منه بدا، وإليه يعود، منزلٌ غير مخلوق، وهو عين كلام الله، وهذا الذي نقرؤه قد سمعه جبريل فنزل به إلى محمد، ومحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بلغه إلينا، فنحن نقرأ كلام الله، كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] فهذا كلام الله؛ ولهذا **قال:** «**فَمَنْ سَمِعَهُ**»، **وقال:** «**أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ**»، «**وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ**».

قوله: «**وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ**»، **أي:** أن من شبَّهَ الله تعالى بخلقه فإنه يكفر،

ولهذا: المشَبِّهَ الذي يقول: إن الله تعالى صفاته مثل صفات المخلوق، الصحيح أنهم كفار، لأنهم ردّوا صريح قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فهم يقولون: لله مثل، والله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فإذا أثبتنا لله اليد، فلله يد ليست كالأيدي، وإذا أثبتنا لله تعالى العلم، فلله علم ليس كالعلوم التي عند المخلوقين، فهؤلاء يقولون: إن الله مثل البشر عياذ بالله، فلأجل ذلك **قال**: «**وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ**»، من أبصر هذا؟ البصيرة القلبية، من أبصر هذا اعتبر وأخذ العبرة، نظر بعين بصيرته فاعتبر وانزجر عن أن يقول مثل هذه المقالات الفاسدة التي تقدمت، وعلم أنه وتعالى بصفاته ليس كالبشر.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد[١].

(١) نهاية الدرس الثاني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

قال المصنف: «وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣]، وَتَفْسِيرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ».

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ هنا موضوع «**الرؤية**».

والمقصود بها: رؤية المؤمنين لربهم تعالى، في الجنة وهذه أطبق أهل السنة والجماعة على أنها حق وهي من الشعائر.

هناك شيء يسمى هذه من شعائر أهل السنة مثل أن الإيمان قول واعتقاد وعمل هذا من شعائر أهل السنة، أن الرؤية حق من شعائر أهل السنة من أمور الكبار.

ولا يخالف في أن الرؤية حق إلا الجهمية ومن تأثر بقولهم، والرؤية تكون لوجه الله عَزَّوَجَلَّ كما في الحديث الصحيح: «**أسألك لَذَّة النّظر إِلَى وَجهك**»، ويرونه عيانًا كما في الحديث: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» فهي رؤية بالعين.

هذه الرؤية العظيمة اشتد أمرها على المعطلة؛ لأن المعطلة إن أثبتوا الرؤية فلا بد من أن يثبتوا الوجه؛ لأن الرؤية إلى الوجه.

ولهذا: لما وجد عند الأشاعرة المتقدمين إثبات الرؤية، وجاء المتأخرون من بعدهم تورطوا في هذه المسألة لأن قدماءهم قد أثبتوا الرؤية، وهم ينفون الصفات عن المتأخرين، ومنها صفة الوجه مع أن المتقدمين من الأشاعرة يثبتون الوجه، فرأوا أنهم إن أثبتوا الرؤية لزمهم إثبات بقية الصفات.

وهذا لا شك فيه؛ لأن الرؤية يراد بها رؤية وجه الله، فتذبذبوا واضطربوا غاية الاضطراب هنا، وفي الأخير قالوا بقول المعتزلة في تأويل الرؤية مع أن أوائلهم يثبتون الرؤية. فالرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة لأن الله تعالى لا يمكن أن يحاط به لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهم يرون ربهم من فوقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا نحدد لها كيفية أيضا؛ لأن الرؤية من أمور الصفات والصفات لا نخوض في كيفيتها، فالرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة، وبدون أن نخوض بالكيفية لكن لا شك أنها حقيقة، وأن المؤمنين كما في النصوص، إذا رأوا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَهَلُوا عن النعيم كله لأن أعلى وأعظم نعيم الجنة هو رؤية الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ**»، ثم قال كما نطق به كتاب ربنا، النصوص الدالة على الرؤية كثيرة في القرآن،

في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وروى الإمام مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ **فقال**: «**الْحُسْنَى: الجَنَّةُ؛ والزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ**».

وهذا تفسير نبوي صريح بأنه نظر حقيقي بالعين إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ، والنصوص الواردة في الرؤية فيما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي آثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كثيرة جدا، حتى صنف فيها المصنفات المستقلة.

فصنف الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ: فيها مصنف مستقل هو «الرؤية»، وساقها علماء السنة الذين يروون بالإسناد، كاللالكائي وابن بطة وأمثالهم، ساقوا النصوص الدالة على هذا، وجاءت عن نحو من ثلاثين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فهي مسألة قد أطبق عليها أهل السنة لا تردد فيها.

ثم قال: وتفسير هذه الرؤيا على ماذا؟

قوله: «**عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ**»؛ لأن نقول في الرؤية ما قلنا في جميع الصفات: إنها معلومة المعنى، وأنها رؤية حقيقية، وأنها بالعين لكن لا نخوض في كيفيتها رؤية حقيقية لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولأجل ذلك وهذه من الفوائد العظيمة جدًّا الدالة على ضرب مذهب التفويض.

الرؤية عند أهل السنة: معلوم علما قطع أنها على حقيقتها،

وقال أهل السنة: فيها أمروها كما جاءت بلا كيف.

وقالوا نفس هذه الجملة في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

فدل على أن قولهم في الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف أنهم أمروها على معناها الحقيقي؛ لأن من المعلوم أن أهل السنة يقولون إن الرؤية بالعين وأنها إلى وجه الله حقيقية، ثم يقول لا تخوضوا في الكيفية، هذه اللفظة مهمة للغاية، لأنها دالة على أن قول أهل السنة في الصفات أمروها كما جاءت بلا كيف، أن ذلك أي: أن صفات على حقيقتها؛ لكن لا تخوضوا في كيفيتها، ولأجل ذالك قالوا هذه الجملة في الصفات وقالوها في الرؤية، وتجد تفصيل هذا في كتاب اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حين روى النصوص الكثيرة.

۞ اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : جعل في الرؤية سياقين اثنين:

○ السياق الأول: فما جاء من نصوص القرآن وفيما فسره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحاديث في الأحاديث من نصوص الرؤية النصوص الواردة في التي أوردها أربع آيات في القرآن وجاء بتفسير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفاسير الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم ذكر سياقًا آخر في الأحاديث الواردة في الرؤية عمومًا، وبوب بأنها رؤية بالأبصار، رؤية حقيقية ولهذا يقول السلف بالعين العيون يرى رب العالمين بالعين

ولهذا: قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] تنظر إلى ربها بالأعين.

قوله: «**وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَمَا قَالَ**»؛ **أي**: نقره ونثبته.

قوله: «**وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ**»، فلا نحيل المعنى الذي جاء في النصوص عن معناه الظاهر، بل على ما أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «**لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ**»، ما ندخل في هذه النصوص العظيمة لنحرفها، ونصرفها عن معناها الظاهر الجلي.

قوله: «**لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا**» ولا ندخل الهواء في هذا على سبيل الوهم والظنون.

قوله: «**فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ**»، قاعدة فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عَزَّوَجَلَّ، لن يسلم أحد في دينه إلا الذي يسلم لله، ستأتي أمور لا تحيط بها، ولن تدركها تسلم لله تعالى فيها.

وقد ثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال مرة بين رجل راكب ظهر بقرة، إذ قالت له: «**إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟ فَقَالَ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»، **أي**: غير ما كانا موجودين في ذاك المجلس، «**فَقَالَ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» وما هما ثَمَّ **أي**: أني أجزم أن أبو بكر وعمر إذا وصلهما هذا الحديث أنهما مباشرة سيصدقان بهذا ولن يترددا.

❍ **الحقيقة:** أن أمور الغيب لا يقيسها على أمور الشهادة ذو علم راسخ، وقد رأى الناس في هذه الأزمنة لا في عالم الغيب بل في عالم الشهادة أمورًا كانت تعد سنوات إلى قريبة كانت بمثابة المحال أو بمثابة الخرافة، من يصدق أن إنسانا يأخذ ورقة؟ ويضعها في جهاز ثم هذه الورقة وهو في موضعه تصل الصين، بنفس نسختها من يصدق الكلام هذا في المعتزلة والفلاسفة القدامى لو قيل لهم هذا الكلام ماذا يقولون؟ هذه خرافة، من يصدق أن الإنسان يحجز الآن من نجد هنا؟ الساعة السادسة ويأخذ عمرة، ويرجع ويصلي الظهر في نفس موضعه، كيف وصل إلى مكة؟ وصل إليها طائرًا، في أحد يصدق أن في إنسان يطير؟ ويذهب إلى مكة ويرجع في يومه يطير كأنه صقور أو كأنه حمام، اعرض هذا على المعتزلة القدامى وعلي الفلاسفة يسخرون منك، هذا الآن في عالم الشهادة الآن تراه، هذه الجوالات ترفع جوالك وتتصل بشخص في أقصى الأرض، وتدله وتبين له أنا في مصر أو في الشام أو في موضع كذا، دلني وأنت هنا على الموضع الفلاني، تدله وأنت في موضعك، هل تصدق هذا الكلام هذا الآن أمور يتعاطاها الناس يتعاملون معها في عالم في عالم الشهادة، فكيف في عالم الغيب؟

فعالم الغيب وضعه آخر، يجب التسليم لله عَزَّوَجَلَّ، المهم أن يثبت الخبر، فإذا تأكدنا من ثبوت الخبر فأنا لا ندخل آراءنا وأهواءنا في مثل هذه الأمور، المهم أن يثبت الخبر فإذا ثبت فكما قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» وما هما ثَمَّ أجزم بهذا جزمًا.

❍ **فالحاصل**: أن الواجب على العبد أن يُسلِّم لله تعالى ولم يَسْلَمْ في دينه إلا إذا سَلَّمَ، أما إذا اعترض وبدأ يورد على كلام الله أو على كلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإرادات، وأنه يلزم منه كذا وسيترتب عليه كذا فإن هذا لا يوفق، وفي أحيان كثيرة، يصاب بانسلاخ من دينه.

وقد حدثنا بعض مشايخنا عن هذا الذي ارتد نسأل الله العافية والمسمى بالقصيمي.

ذكره الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان دَرَسَ معهُ يقول: كانت فيه البذره هذه ونحن نَدْرُس، كان يتمنع على النصوص.

يقول: ونحن نَدْرُس فكانت بذرة نعوذ بالله فيه موجودة منذ دراسته، أثمرت في النهاية والعياذ بالله انسلاخه وإلحاده، فمثل هذه الأمور ينبغي أن يحذرها الإنسان وأن يعلم أن المهم أن يثبت الخبر، فإذا ثبت الخبر فإنه لا يدخل في مثل هذه المسائل التي أتته عن الله وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا مصدقًا ومسلمًا.

وإلا قلنا الآن نحن في عالم الشهادة الآن في وقتنا هذا، وضعنا نحن هذا لو عرض على كبراء المعتزلة عبد الجبار والزمخشري أو على كبراء الفلاسفة، الفارابي وابن سينا، قيل إن الناس على هذا الوضع وعلى هذا، في أحد منهم مصدق؟ ونحن في عالم الشهادة، عالم شهدناه الآن نراه، فكيف بعالم الغيب الذي أصلا لا يقاس على عالم الشهادة، ولهذا يلحظ طالب العلم أمر التسليم؛ لأن ثمة أمورا لن تدركها الآن، لقلة علمك، فإذا أتاك الله بسطة في العلم اتضحت لك، وهي وإن كانت غير واضحة لك فهي لغيرك واضحة جدا، وأنت بنفسك إذا أتاك الله تعالى العلم لاحقا، وتوسعت فيه علمت أن ما كنت مترددا فيه هو الحق، وإنما اعترضت لقلة علمك.

وهكذا قد يحجب الله عن الناس أمورًا لا شَكْ هو عالمُ الغيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتأتي بالنصوص والفرق كبير بين مقامين اثنين.

❍ **المقام الأول**: مقام مخالفة العقول، هذا لا يمكن أن يأتي في النصوص مستحيلا تاما أبدا؛ لأن الذي رَكَّبَ العقل هو الذي أرسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يكون في دين الرسول ما يخالف العقل، الذي قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

هذا لا يكون؛ لكن يكون في دين الرسل ما تعجز العقول عن إدراكه؟

ومنه أخذ الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]،

يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا إشارة إلى المراكب التي تطير وتسير لاحقا، يقول: لأن الله ذكرها مع المراكب السابقة، الخيل والبغال والحمير.

قال في آخر الآية: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨] .

قال: ومن شأن القرآن في الأمور التي لا تعرف أن يأتي بعبارة هذه العبارة إذا وقف عليها الناس في زمنهم تكون مطابقة، وتكون في زمن من سبق أيضًا عبارة واضحة، فيدرك الناس لاحقا أن ثمة مركوبات هي بالنسبة لمن قبلنا لا تكاد تتصور، المركوبات محدودة هي الإبل والخيل والحمير ونحوها وكذلك السفن التي في البحار.

أما أن الإنسان يطير وأن الإنسان على هذه السيارات يسير بهذه السرعة الشديدة الذي كان يقطع في شهر كامل صار يقطع الآن في ربع أو نصف يوم هذا يكاد ما يتصور، يقول فقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]، في هذا، فشمل هذه المراكب الطائرة والسائرة، لأجل ذلك يجب أن يسلم العبد لله عَزَّوَجَلَّ حتى فيما لا يستطيع إدراكه، لأنك لو استطعت إدراك كل الوحي صرت علَّامًا للغيوب.

وستظل أمور غيب أختص الله تعالى بها لأنه تعالى من أسمائه عالم الغيب، فإذا كنت لن تقر إلا بالذي علمته وتيقنته ما بقي لعلم الغيب فائدة، وأنت الآن تؤمن بما يكون في القبور، من نعيم وعذاب وتسأل الله العافية من عذاب القبر ومع أنك لو فتحت القبر لأكثر الناس، وفتحت قبر أتقى الناس ما وجدت فرقا، لأنهما في عالم آخر غير العالم الذي أنت فيه، وان كنت تدفنهما في الدنيا، الإنسان إذا مات انتهى وضعه من الدنيا، وبدأ في دار البرزخ، دار البرزخ أصلا متصلة بالآخرة، غير متصلة بالدنيا؛ لأن البرزخ أول منزلة من منازل الآخرة، فحتى لو فتحته ورأيته بعينك ما وجدت عذاب هؤلاء الكفار، ولا وجدت النعيم ولا وجدت المؤمنين قد فسح لهم في قبورهم مد البصر، وإنما هو على وضعه؛ لأن هذا من الأمور بالغيب وليست مرتبطة بالشهادة فيقر العبد مثل هذه الأمور ويسلم لله تعالى ويدع عنه أي: اعتراض على رب العالمين فإن هذه بذرة من بذور الإلحاد والزيغ نعوذ بالله.

قال المصنف: «وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ».

لا يمكن أن تثبت للإنسان قدم وأن يكون غير متزعزع إلا إذا كان مُسَلِمًا لله تعالى مُسْتسلمًا فمن رام؛ **أي**: من طلب وأراد علم ما حُظر عنه، المحظور عنك هو الغيب، قد حظر عنك لا يمكن أن تصل إليه، فإذا أردت أن تعلم علم الغيب ولم تقنع بالتسليم الذي أمرك الله به في أمر الغيب حجبه مَرَامُه حجبه هذا المقصد منه وهذا المطلب الذي طلبه عن خالص التوحيد.

لهذا: الذي يخوض في الغيبيات على غير الوجه الشرعي تجد عنده خللًا في التوحيد، ويكون عنده في موضوع المعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ لا تكون معرفة صافية، ولا يكون ذا إيمان صحيح؛ لأنه تصور هذه الأمور التي ليس له أن يتصورها، وقد تكلم أهل العلم رحمهم الله تعالى عن الحال التي تصيب هؤلاء مما سيأتي في كلامه لاحقا إن شاء الله.

قال المصنف: «فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوَسْوِسًا تَائِهًا، شَاكًّا، زَائِغًا لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا».

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الذي يدخل في الأمور الغيبية بغير الطريق الشرعي يقع عنده التذبذب وهو الاضطراب، والتردد لا هو بالذي كفر وخرج من الملة ولا هو الذي بقي على إيمانه، وإنما يتذبذب بين الإيمان وبين الكفر، بين التصديق وبين التكذيب، بين الإقرار بالحق وبين الإنكار له، ماذا يكون حاله موسوسا؟ أصابه الوسواس تائها في حال من التيه والشك والحيرة، لا هو بالذي آمن وصدق كالمؤمنين ولا هو بالذي جحد وخرج من الملة.

وهذا وقع لكثير من المتكلمين، فإنهم حين خاضوا في الأمور الغيبية العظيمة، على الطريق غير الشرعي بغير الطريق الشرعي وقعوا في حيرة عظيمة، ولهذا لا تجدوا من كبار النظار هؤلاء أحدا إلا وتجد عنده هذه الحيرة، لأجل ذلك نقل أهل العلم رحمهم الله تعالى من حيرة هؤلاء شيئا عجيبا.

-**من أشهر النظار- الرازي**: المسمى بالفخر، وقد ألف مؤلفات كثيرة وخاض في أمور من الغيب هائلة، واقتحم باب الصفات بطريقة من طرق الجهمية في إنكارها.

ثم في آخر حياته عفى الله عنه ألف كتابًا يقول شيخ الإسلام هو أفضل كتبه، سماه «**أنواع اللذات**».

قال فيه:

نِهَايَـــةُ إِقْـــدَامِ الْعُقُـــولِ عقـــالُ ... وَأَكْثَـــرُ سَـــعْيِ الْعَـــالَمِينَ ضَـــلالُ

وَأَرْوَاحُنَـــا فِـــي غَفْلَـــةٍ مِـــنْ جُسُـــومِنَا ... وَحَاصِـــلُ دُنْيَانَـــا أَذًى وَوَبَـــالُ

وَلَـــمْ نَسْـــتَفِدْ مِـــنْ بَحْثِنَـــا طُـــولَ عُمْرِنَـــا ... سِـــوَى أَنْ جَمَعْنَـــا فِيـــهِ قِيـــلَ وَقَـــالُوا

وَكَـــمْ قَـــدْ رَأَيْنَـــا مِـــنْ رِجَـــالٍ وَدَوْلَـــةٍ ... فَبَـــادُوا جَمِيعًـــا مُسْـــرِعِينَ وَزَالُـــوا

وَكَـــمْ مِـــنْ جِبَـــالٍ قَـــدْ عَلَـــتْ شُـــرُفَاتِهَا ... رِجَـــالٌ فَزَالُـــوا وَالْجِبَـــالُ جِبَـــالُ

النصوص جبال، يقول هذا الذي يصعد الآن فوق الجبل ما الظاهر من هذا فوق الجبل، يقول سيزول هذا وسيبقى الجبل، يقول وهذه النصوص.

ثم قال: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلَا تَرْوِي غَلِيلًا. وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ».

في آخر حياته، اكتشف هذا الأمر الذي يكتشفه صبيان أهل السنة.

يقول: رأيت في آخر عمري بعد أن خضت في المذاهب الفلسفية، والطرق الكلامية وجدت أقرب الطرق طريقة القرآن.

أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١].

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، يجرب مثل تجربتي ويعرف كيف خضت في هذه الأمور سيصل في نهاية الأمر إلى هذا ولهذا أوصى عند موته بوصية كتب فيها أنه راجع عن كل ما خالف فيه السلف الصالح.

وأبو المعالي الجويني صاحب «الورقات» يقول: قرأت خمسين ألفا في خمسين ألفا، **أي:** أني قرأت آلاف الصفحات، وركبت البحر الخضم

وخضت في الذي نهاني عنه أهل الإسلام، **أي**: من علماء السنة، كل ذلك هرب من التقليد، **والآن أقول**: إن لم يتداركني الحق وأموت على عقيدة أمي فالويل لابن الجوينية.

وذكروا عجائب من حيرتهم.

مثل قول: الشهرستاني صاحب «**الملل والنحل**»: وهو ملم بكثير من هذه الأقوال ومن الأشاعرة، وله ميل إلى أقوال أخرى أيضا:

لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ طُفْـــتُ المَعَاهِـــدَ كُلَّهَـــا وَسَـــيَّرْتُ طَرْفِـــي بَـــيْنَ تِلْـــكَ الْمَعَـــالِمِ

فَلَـــمْ أَرَ إِلَّا وَاضِـــعًا كَـــفَّ حَـــائِرٍ عَلَـــى ذَقَـــنٍ أَوْ قَارِعًـــا سِـــنَّ نَـــادِمِ

يقول: وجدتهم صنفين:

- أما حائر، وأما نادم وذكروا من هذا أشياء كثيرة الحقيقة.

ولهذا: قال الجويني عفا الله عنه: في آخر عمره لا تشتغلون بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلتُ به، إلى غير ذلك من الأمور التي حاروا فيها.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في آخر «الحموية» عن هؤلاء أوتوا ذكاءً وما أوتوا ذكاءَ، أُوتوا علومًا وما أوتوا فُهُومًا، أوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء.

لأنهم خاضوا في الذي لا يحل الخوض فيه، وندموا لكن في آخر حياتهم ولهذا لا تكاد تجد أحدًا من النظار الكبار إلا وندم، وتأسف على خوضه فيما لا يحل الخوض فيه، وكان بعضهم يتحدث عن السلف على أنهم بمثابة العامة، الذين لا يدركون الأمور، ومنهم الجويني ثم في آخر عمره لما تكلم عن السلف **قال**: هيهات أن يكون هؤلاء قد تركوا الخوض فيما خاض فيه المتأخرون عن عيي

أي: عن عجز بل هم والله لمن عرفهم أعلم الناس.

قل حين تركوا الخوض في تلك الأمور تركوا الخوض فيها عن علم؛ لأن بعض الأمور الخوض فيها يدل على الجهل، من يخوض فيما لا ينبغي الخوض في هذا يدل على جهله لا يدل على علمه، إلى غير ذلك من الأمور التي كأنها والله أعلم نوع عقوبة هذا الشخص الذي يخوض في أمور نهاه الله تعالى عن أن يخوض فيها، كأمور الصفات وكيفياتها ولا يقنع بالواضح منها،

كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستواء معلوم معلوم المعنى هذا المقصود.

أما الكيفية: فمجهولة ولا يمكن أن يحاط بالله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقد أشغلت هذه البلايا من المتكلمين أشعرية، وماتريدية، وجهمية، ومعتزلة، وكلابية أشغلت الناس عن ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن مع صفات الله، صفات الله شأنها عظيم جدا، ولها أثر كبير في زرع التقوى في المؤمن.

تأمل هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]

ينبهك الله قبل أن يأمرك بالحذر أنه يعلم ما يدور في نفسك، إذن عليك الحذر لأن كل الناس ما يدرون ما الذي في نفسك، يقول احذر من نظر الله تعالى وعلمه بحالك، «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إلى سماء الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ**»

بدءوا في الخوض في موضوع النزول، وردوه وغفلوا عن التعرض لسؤال رب العالمين في الثلث الأخير، «**مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟**» «**هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأغْفَرَ لَهُ**؟» وخاضوا في مثل هذه المسائل التي لا يحل الخوض فيها وغفلوا عن الأمور العظام التي ينبغي أن يكون المؤمن بالصفات متأثرا تأثرا حقيقيا بها، لأجل ذلك تسبب هؤلاء الحقيقة في شيء من الضلال الكبير في الأمة، وسببوا نوعا من البلبلة العظيمة.

يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صُبَيْغ ؛ لأن عمر لما أتى صبيغ وصار يسأل عن المتشابه ضربه ضربا مبرحا حتى أدماه يقول هذا حكمي فيهم أن يضربوا ضربا مبرحا لأنهم سببوا إشكالًا كبيرًا للناس فبدلًا من أن يستفيد الناس من هذه الصفات أبلغ الفائدة بدلًا من ذلك اشغلوهم بصرف هذه النصوص عن ظاهرها وخاضوا في الله عَزَّوَجَلَّ خوضا يدل على قلة العلم بالله عَزَّوَجَلَّ الخوض في الله أمر عظيم مهول.

فلا تتكلم في رب العالمين إلا بالنصوص؛ لأن الله تعالى عرفك بنفسه، وأرسل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرفك بربه فتعرف الله بما عرفك الله، أما أن تخوض بوهمك أو بما تسميه عقلك فلا شك في أن هذا من الضلال، لأجل ذلك تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هؤلاء وحيرتهم، وأنهم يتذبذبون في آخر المطاف ويصلون إلى الحيرة، فمنهم والعياذ بالله من قد ينسلخ من الملة، ومن كان فيه تقوى وورع فإنه يظل في حال من الاضطراب، يريد الاستمساك بدينه لا يريد أن يترك دينه؛ لكن ذبحه ذبحا، منطق اليونان

وفلسفتهم، وعرفها معرفة جهل معها كثيرا من النصوص الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول شيخ الإسلام: في سقراط هذا الذي يعظم هذا التعظيم هذا الرجل ساحر وثني، انظر نسأل الله العافية والسلامة كيف الفتنة؟ سقراط هذا الذي أزعجوا به الناس وبفلسفته، يسمونه المعلم الأول ساحر ويعبد الأوثان، تريد أن تعرف رب العالمين من ساحر وثني وتترك ما جاء في كتاب الله وفي سنة نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لهذا: هي فتنة نسأل الله أن يعيذنا من الفتن ما ظهر وما بطن فتنة عظيمة والذي صار الحقيقة من ترجمة فلسفة اليونان أضر كثيرا جدًّا بالأمة وسبب هذه البلبلة ونشأت هذه الفرق الضالة كثير من الفرق الضالة نشأت من آثار مقولة الفلاسفة هذه مع أنهم يخالفون الفلاسفة ويكفرون الفلاسفة ثم يأخذون تقارير الفلاسفة الوثنيين من اليونان ويطبقونها على النصوص، وما لا يتماشى مع هذه التقريرات ينفونه، لأجل ذلك صار عندهم هذا التذبذب كما ذكر الطحاوي رحمهم الله لا هو بالمسلم الخالص ولا هو بالكافر الجاحد، وإنما هو في حال من هذا التذبذب يعاقبون هذه العقوبة، تترك أعظم العلم وأجل العلم الذي أتى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يطرق الدنيا كلها علم ولن يطرق الدنيا كلها، علم أجل من علم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قد قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]

يُعلّمهم الكتاب والحكمة، هذا العلم الحقيقي، لا تعليم زنادقة اليونان وغيرهم من أنواع الضالين من أصحاب الفلسفة الشرقية أو غيرها، هذا أضاع الناس وتسبب في شيء كثير من الضلال، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد علم أمته.

وثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**ينما أنا نائم أُتِيتُ بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الرَّيَّ يخرج في أظفاري**».

أي: من شدة العلم العظيم الذي عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ**

قالوا: مَا أَوَّلْتَهُ؟ ؟ قَالَ: الْعِلْمُ»، العلم الحقيقي عند الصحابة؛ لأنهم أخذوا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يمكن يأتي أحد اعلم من الصحابة إلى قيام الساعة مطلقا، حتى لو كان عنده عشرات

الآلاف من الصفحات، ما يكون أعلم من أبي بكر وعمر، مستحيل هذا الأمر، هم أهل العلم الحقيقي، وهم الذين اصطفاهم الله اصطفاءً كما قال ابن مسعود: «**قَوْمًا أَخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ**».

فالعلم الحقيقي عندهم، ولهذا الصحابي رضي الله عنهم تنقل عن الواحد منهم رضي الله عنهم مقالة أقل من سطر، هذه المقالة العظيمة تغنيك عن صفحات كثيرة، يتوسع فيها المتأخرون ويطيرونها وينفخون الكتب على غير ما فائدة، وهي في كلام الصحابة رضي الله عنهم كلام الحكماء علمهم النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب والحكمة، فمن زهد في هذا العلم وبحث عن علوم أهل الزندقة والفلسفة وأضرابهم يصاب بالحيرة، لا هو بالذي ترك الإسلام بالكلية ولا هو بالذي التزم الإسلامي الالتزام السليم؛ لهذا يكونون في هذا الحال من الاضطراب والتذبذب نعوذ بالله من حالهم ومآلهم.

۞ **قال المصنف:** «**وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ، إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ، وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ، وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ**».

لا يصح أن تؤمن بالرؤية.

قوله: «**لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ**»؛ أي: الجنة.

قوله: «**لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ**»؛ شخص يريد أن يعرف هذه الرؤية بوهم من الأوهام.

قوله: «**أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ**»؛ قال أنا عندي علم وعقل وفهم.

قوله: «**إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ، وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ**»؛ وإن كان تأويل الرؤية وتأويل كل بمعنى يضاف إلى الرب سبحانه وتعالى.

قوله: «**بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ**» أن تترك التأويل وتترك عنك الخوض الذي فيه تحريف الكلم عن مواضعه وأن تلزم التسليم.

قوله: «**وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ**»؛ المسلمين هكذا كانوا يتعلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانت الصحابة رضي الله عنهم إذا أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بخبر يقابلون هذا الخبر بالرد والتكذيب، بل كانوا يُسَلِّمُون تسليما، والحديث السابق الذي قلنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم: بأنه بين رجل راكب البقرة

إذ تكلمت.

فاستعظم الناس هذا تعجبوا هذا المعنى وليس المعنى أنهم كذبوا رسول الله، ولهذا لما قال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الكلام مطلقا ما ردوه عليه، تعجبوا أمر عجيب جدا، أن تتكلم هذه البهيم بإذن الله عَزَّوَجَلَّ لأجل ذلك نبههم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة على التسليم قال: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»، **أي**: ينبغي أن تؤمنوا وهم كذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فالواجب ترك هذه التأويلات الفاسدة وعدم الخوض فيما يتعلق بالرب عَزَّوَجَلَّ بهذه الطريقة التي كانت على يد الجهمية والمعتزلة ومن ورثهم.

ثم قال قاعدة:

قوله: «**وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ، زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ**»؛ **أي**: أن ثمة منهجين فاسدين:

- **المنهج الأول**: النفي بأن ينفي ما أثبته الله.
- **المنهج الثاني**: أن يشبه ما ثبت لله.

يقول: في هذه الحالة يزل ويكون ضالًا.

قوله: «**وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ**»، لا يمكن أن يصيب التنزيه الذي يجب لله عَزَّوَجَلَّ.

قال المصنف: «**فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ**»

هذا الموضع من المواضع التي ذكر الشاعر رَحِمَهُ اللَّهُ أن فيها نوعا من السجع الذي ما يليق بكتب الأدعية يقول هو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد، كذلك الحال بالنسبة للسجع وفيما يتعلق بصفات الوحدانية والفردانية هو قال: «**منعوت وموصوف**»

فقيل: إن الوصف والنعت مترادفان، وقيل ليس مترادفين لكنهما متقاربان، الوصف يكون للذات والنعت يكون للفعل، وكذلك «**الوحدانية والفردانية**» قيل في الفرق بينهما ذلك، وقيل إن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو موحد في ذاته تعالى منفرد، بصفاته.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول لكن في اللفظ نوع تكرير في التكرار لا حاجة له، **قال**: وللشيخ نظير هذا التكرير في مواضع من العقيدة، وهو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد والتسجيع، **أي**: أنه كان الذي ينبغي أن

يكون في شيء من الاختصار، بأن نقتصر على الوصف أو النعت لأنهما في الغالب مترادفان، وهكذا ما يتعلق بالوحدانية والفردانية، يقول الأنسب أن تكون هذه في غير كتب الاعتقاد.

۞ قال المصنف: «وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ»

هذا الموضع من المواضع التي قلنا إن الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر فيها كلاما مجملا، ماذا يريد بالحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات؟ مثل هذا الموضع مما يدخل من خلاله المتكلمون إذا أرادوا أن ينفوا الصفات ليقولوا إن أبا جعفر على طريقتنا.

الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ -علّق على هذا الموضع بقوله-: هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل، قال وليس لهم بذلك حجة لأن مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تنزيه البارئ، عن مشابهة المخلوقات هذا مراده؛ لكنه أتى بعبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل.

- فمراده بالحدود: التي يعلمها البشر **أي**: ليس لله حَدّ يعلمه البشر هذا المعنى، فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو، **أي**: هل يقال إن لله حَدًّا؟ أما حَدٌّ يعلمه البشر فلا، ولهذا بعض أهل العلم نفى الحَدّ، عن الله **أي**: الحّد الذي يعلمه البشر، وبعضهم اثبت الحد **أي**: أن الله تعالى يثبت له الحَدُّ الذي يعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن كان المقصود حَدٌّ يعلمه البشر فلا هذا ينفى، وإن كان المقصود حَدٌّ يعلمه الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا مرتبط بصفاته، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اعلم بنفسه، ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قال بإثبات الحد في الاستواء مراده حد يعلمه الله.

ثم قال: وأما.

قوله: «**وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ**»؛ فمراده تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن مشابهة المخلوقات، في حكمته وفي صفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم ونحو ذلك.

لكن لا شك في أن مثل هذه الإطلاقات فيها ما فيها من الإجمال، **أي**: مثل ما ذكرنا قد يأتي من يدخل على مثل هذه الألفاظ بغير ما أراد الشارع من المتن وإلى مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلوم من المثبتة ويثبت الصفات رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكن استعمال مثل هذه الألفاظ المجملة فيه هذا الإشكال وهكذا.

قوله: «**تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ**»، الجهات الست المقصود اليمين والشمال والأمام والخلف والسفلي

والفوق.

يقول: لأن الله أصلًا فوق الجهات، الله تعالى في العلو، وكل الجهات أسفل العرش، ولهذا من قال إن الله في جهة العلو وأطلق على العلو جهة قال إني أثبت الجهة، ومن قال لا أثبت الجهة فمراده أن الله فوق الجهات؛ لكن ما الحاجة إلى هذا؟ هذا هو وضع المسألة من ما الحاجة إلى مثل هذه الإطلاقات **هل الطحاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يثبت الفوقية أو لا؟**

سيأتيك بصريح عبارته أن الله فوق العرش، وبه تعلم أن هذا الموضع يُرَدُّ إلى المواضع المبينة، هذا فيه إجمال هذا الموضع، فالإجمال يرد **دائمًا** إلى التفصيل، والكلام الذي به شيء من الإبهام يرد إلى الكلام المبين الواضح؛ لكن لا شك أن التعبير بالعبارات الشرعية الصحيحة هو المتعين وأن تترك مثل هذه التعبيرات التي قد تُوجِد شيئا من عدم الوضوح أقل ما توجد عدم الوضوح ماذا يريد؟ بالأركان ماذا يريد بالأعضاء؟ ماذا يريد بالأدوات؟ ليس بحاجة إلى هذا ننفي عن الله تعالى ما نفى عن نفسه ونثبت ما اثبت لنفسه وقد قلنا في أول الدرس:

أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر الصحابي الكريم الذي قال: في سورة قل هو الله أحد «**لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ**» وهذه السورة فيها النفي والإثبات، فيها إثبات الأحدية والصمدية وفيها نفي أن يكون الله يلد أو يولد أو أن يكون له كفوا أحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن ذلك، لأجل لذلك نعبر بالتعبيرات الشرعية السليمة ونبعد عن مثل هذه الألفاظ التي قد يترتب عليها هذا الإشكال.

- ولهذا تكلم الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: على هذه الألفاظ مطولًا.

هذه الألفاظ : من الناس من ينفيها مباشرة.

ومنهم: من يثبتها مباشرة.

ومنهم: وهو الصواب الذي لا شك فيه من يفصل مثل ما ذكرنا فقوله على سبيل المثال تعالى عن الحدود هل يثبت لها الحد أو ينفى؟

نقول: إن كان المقصود حد يعلمه البشر فهذا ينفع أما إن كان حد يعلمه هو فهذا يثبت، **أي**: يحتاج إلى شيء من التفصيل، الناس بحاجة إلى شيء من التفصيل، ولهذا إذا عبرت بالتعبيرات الشرعية لا تحتاج إلى هذا، الألفاظ المجملة إشكالها أنك إذا نفيت ألزموك بمعنى، وإذا أثبتت ألزموك بمعنى

فتحتاج إلى التفصيل فيقال لا حاجة لهذا أصلا في أمور الاعتقاد،

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين ما الذي يتصف به وما الذي يتنزه عنه وتقدم حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»، فالذي لا ينبغي لله ما يترك للناس حتى يحددوا ما الذي ينبغي والذي لا ينبغي، وهذا التعبير مثل هذه العبارات الحقيقة يوجد شيئا من البلبلة قد يترتب عليه شيء من سوء الفهم لمراد الماتن.

۞ **قال المصنف: «وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ، إِلَى السَّمَاءِ. ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم:١١]، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى».**

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يتعلق بالعروج.

○ **العروج:** عُرِجَ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما فوق السماوات، ولقي في السماء الأولى آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولقي في السماء السابعة في آخرها إبراهيم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وكلمه الله تعالى كفاحا أي: مباشرة وفرض عليه الصلاة، ثم نزل وكان موسى في السماء السادسة؛ لأن إبراهيم أفضل من موسى كما تقدم، وسألهم الذي فرض عليك ربك فقال خمسين صلاة، قال إن أمتك لا تطيق ذلك فسل ربك التخفيف، ثم عرج به ثم استشار جبريل فعرج به جبريل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، حتى جعلها الله تعالى خمسا بأجر خمسين وهذا من فضله تعالى ومنته.

○ **المعراج:** مفعال من العروج أي: الآلة التي يعرج فيها يصعد وهو بمنزلة السلم؛ لكن لا يعلم كيفية هذا المعراج إلا الله عَزَّوَجَلَّ، يقول حق وقد أسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإسراء غير المعراج، الإسراء إلى بيت المقدس الذي سبحان أسرى بعبده، هذا إلى بيت المقدس.

أما العروج: فإلى السماوات، سماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة يستأذن يستفتح فيؤذن حتى كلمه الله تعالى كفاحا.

والمعراج حديث المعراج يُقر به نُفات العلو، ويقال يا لله العجب تقرون بالمعراج ونهاية عروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أين؟ إلى الله، وفرض عليه الصلاة نقول لهم نقول أين فرض الله تعالى الصلاة؟ ما الذي تتميز به الصلاة؟ عن جميع الفرائض، قالوا إن الله فرضها بنفسه ولم ينزل بها جبريل، فرضها الله

تعالى أين؟ في حادثة المعراج.

يقول لك رواها البخاري ومسلم، وفرضها الله بنفسه كلمه الله كفاحًا؟ نعم، أرأيت أن الكلام يثبت لله تعالى؟ أرأيت أن الله تعالى في العلو؟ وأنك تضطر إلى الإثبات لهذا وأنت لا تدري، لأنهم يقولون من مناقب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكبار أنه عرج به ويجعلون هذا ولا شك في أن هذا من فضائل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيأتون إليه في باب الرسالة ونأتيهم إليه في باب التوحيد، وكل هذا حق لا تفرق، هو كرامة عظيمة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن خذ المدلول، أن الله كلمه كفاحًا وأنت تنفي الكلام وان الله تعالى في العلو لأنك تقول وجد في السماء الأولى آدم في السماء الرابعة هارون في السماء السادسة موسى في السماء السابعة، إبراهيم ثم عرج به إلى مافوق السماء السابعة، وكلمه الله وفرض عليه الصلاة، فما بالك في باب الرسالة تثبت وإذا أتيت إلى باب التوحيد تناقضت، فهذا من الدلائل على كون هؤلاء القوم يتذبذبون ويضطربون.

ومن المعلوم أن المعراج عرج بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما فوق السماوات العُلا، بشخصه في اليقظة يقول **أي**: ليست المسألة مسألة منام لو كانت المسألة مسألة منام لما أنكرتها قريش لو قال أني رأيت البارحة كأني وأنا نائم كأني عرج بي إلى السماء الدنيا ما أحد ينكر عليه من القرشين قالوا: «**ذهبت إلى بيت المقدس ورجعت في ليلتك قال نعم**»؛ فأتوا إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أمل أن يتسبب هذا الموقف برجوع أبي بكر، قال لا ترى إلى صاحبك؟ يقول إنه عرج به أنه أسري به إلى بيت المقدس ورجع من ليلته، قال إن كان قال فقد صدق رضي الله تعالى عنه وأرضاه، **أي**: هم قد طمعوا في أبي بكر أن يتزلزل، قال هو المهم أن يقوله، هذا الذي نقوله لكم يا إخوة، المهم أن يثبت الخبر.

وهذا منهج أهل السنة الذي عليه أبو بكر، المهم يثبت الخبر، إذا ثبت الخبر على الرأس والعين، المهم أن يثبت، وهذا الذي قاله أبو بكر، ويقوله كل مؤمن موحد، قال إن كان قال الذي يقول لي الآن يقول أبو بكر الذي يحدثنا عن الكفار، أنتم تقولون وقد تكذبون عليه لا أدري؛ لكن إن كان قال فقد صدق، وهذا هو متعين في هذه الأخبار إذا أتتنا، المهم أن تثبت وهذا الذي يقوله أهل السنة، المهم أن يثبت الخبر فإذا ثبت فإننا نسلم ونصدق ولا نجعل دون تصديقنا بالخبر **أي**: عائق، مما يسمى عقلا أو مما يسمى ما يترتب عليه يلزم منه هذا كله مطلقا، مطلقا لا يقوله أهل الحق.

قوله: «**إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا**» حيث كلمه الله تعالى كفاحا كما تقدم وأكرمه الله

بما شاء وأوحى إليه بما وأوحى إليهما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى فصلى الله عليه في الآخرة وعلى آله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قال المصنف: «وَالْحَوْضُ - الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ - حَقٌّ».

أيضًا تكلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الحوض:

الحوض: هو مجمع الماء، وهذا الحوض العظيم يجعله الله تعالى في القيامة.

يقول بعض السلف: يبعث الناس أشد ما كانوا ظمأ وأشد ما كانوا جوعا، بعض الناس جياع، ويبعثون على حال من الظمأ ولهذا إذا أتوا إلى الموقف العظيم وهو موقف هائل قد أدنيت الشمس مقدار ميل والعرق ساخ في الأرض سبعين ذراعا أحب ما يريد الإنسان الماء.

هذا الحوض مسيرة شهر طوله شهر وعرضه شهر، طوله مسيرة شهر وعرضه مسيرة شهر، «**مَاؤُهُ**» كما ثبت في النصوص «**أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**»، «**مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا**»، فإذا رآه الناس اقبلوا يريدوا الماء فتذودهم الملائكة تذود أناسا تذود الملائكة الصنفين:

الصنف الأول: المرتدون وهم الذين قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم إذا رآهم يذادون «**يَا رَبِّ، أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

أنهم لم يزالوا مرتدين لأن هؤلاء أتوا إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام تسع سنة الوفود وأظهروا الاسلام والرجل اذا لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يسمى صحابيًا.

مات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والظاهر منهم الاسلام فأبقى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاصل وهو أنهم أصحابه لهذا قال أصحابي فتذودهم الملائكة فتقول: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»، وفيه دلالة أنه لا يعلم الغيب إنهم لم يزالوا مرتدين أعقابهم منذ أن فارقتهم «**فأقول سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**» وفي اللفظ الآخر فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] هذا الصنف الأول وهم الكفار وهذا واضح.

-هل يذاد أحد من أهل الكبائر؟

نعم ظاهر النصوص: أن بعض أصحاب الكبائر يذادون.

وقول بعض أهل العلم إنه لا يزداد إلا المرتدون ليس بدقيق؛ لما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**سَيَكُونُ أُمَرَاءُ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضِ**»

فهؤلاء مسلمون، يقول لكن أعانوا الحكام على ظلمهم وصدقوهم في كذبهم فلا يريدون الحوض، هذا يدل على أن بعض أهل الكبائر يزدادون عن الحوض والعياذ بالله، هذا يدل على شؤم الذنوب نعوذ بالله، وأنه يضر صاحبه.

هذا الحوض جعله الله تعالى كرامة أكرم الله تعالى نبيه بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وغوثًا لامته فإنها ترد، يقول هذا الحوض حقا لأنه وردت به النصوص الثابتة، وقد استقصى هذه النصوص الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر كتابة «البداية والنهاية» في الأخير استقصى النصوص الواردة في الحوض وأطال وأجاد رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ **قال المصنف:** «وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ».

❁ **الشفاعة أنواع:**

○ **الشفاعة العظمى:** وهي أن يشفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الموقف بأن يأذن الله تعالى في الفصل القضائي لأن الناس يمكثون مدة طويلة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وتدنى الشمس من الخلائق ويشتد الأمر على الناس «**فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وأسْجَدَ لك ملائِكَتَهُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا بنا؟**».

فيعتذر آدم ويحيلهم إلى نوح ثم يعتذر نوح ويحيلهم إلى إبراهيم ثم يعتذر إبراهيم ويحيلهم إلى ثم يعتذر موسى ويحيلهم إلى عيسى ثم يعتذر عيسى ويحيلهم إلى محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليم كثيرا، فلا يشفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابتداءً لأن الشفاعة لمن؟ لله.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]

الشفاعة ملك الله لكنه يأذن إذا شاء، ويبقى الناس هذه المدة المديدة لم يأذن بها الله؛ فلهذا لا يتقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشفاعة، فإذا قال أنا لها لا يذهب ليشهد مباشرة، يخر تحت العرش صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجدا، حتى يقال له ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع، فلما جاء الإذن شفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي

حق لا شك فيها.

ومن الشفاعات التي تقع شفاعات لغير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هذه شفاعة خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي المقام المحمود عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يحمده جميع الناس عليها؛ لأن الله أذن بعد هذه الشفاعة بفصل القضاء.

وهناك شفاعات خاصة به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخرى طويل الكلام فيها الحقيقة؛ لكن من الشفاعات الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين الذين دخلوا النار، وهؤلاء يشفع فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأنبياء، وتشفع الملائكة ويشفع الصالحون أيضا، ويشفع الأفراط لآبائهم، فهذه شفاعات تثبت **لكن لا تكون الشفاعة إلا بعد إذن الله تعالى**.

كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هذا **الشرط الأول**.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والله لا يرتضي إلا التوحيد.

ولهذا في حديث أبي هريرة لما سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قال مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**».

فالمشرك لا تناله الشفاعة، ولا تنال الشفاعة إلا الموحد، لأجل ذلك تطلب الشفاعة من الله؛ لأن الشفاعة لله.

هل هي للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لا ليست للرسول.

هل هي للملائكة؟ لا.

الشفاعة لله لكنه يأذن إذا جاء الوقت الذي يكون وقت الشفاعة، ولهذا الذي يقول أني أطلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة هذا جاهل، كيف تطلبها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنت في الدنيا؟ والشفاعة لا تكون إلا في الآخرة لا تكون له ابتداء، ويبقى الناس في ذاك الموقف العظيم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة لأن الشفاعة لله ولأن الله لم يأذن بها بعد، فإذا أذن بها شفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشفعت الملائكة وشفع الأنبياء والصالحين، قبل ذلك لا شفاعة، فلا تطلب إلا من الله، يدعى الله، اللهم شفع فِيّ

نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعم حق هذا؛ لكن أن تطلب من النبي صلى لايحل هذا، فإذا جاء وقتها طلبها الناس منه.

وفي زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل تطلب الشفاعة منه؟ بأن يطلب منه أن يدعو؟ نعم لان الشفاعة دعاء، فكان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال حياته أن يدعو لهم، ما في هذا إشكال؛ لكن بعد أن مات لا تطلب منه الشفاعة ولهذا لما توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما طلبوها منه، لعلمهم أنها لا تطلب إلا في وقتها المحدد الذي يأذن الله فيه؛ لأن الشفاعة هي نوع دعاء، ففي حال حياته كانوا يطلبون منه أن يدعو، دعاؤه نوع شفاعة وهو حي، أما بعد أن مات؟ لا وقد ثبت في الصحيح البخاري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرق بين حال حياته ومماته.

فلما قالت عائشة رضي الله عنها: «**وارأساه: قال ما يمنعك يا عائشة لَو كَانَ ذَلِك وَأَنا حيٌّ**» **أي**: لو أنك متى وأنا حي، فدعوت الله واستغفرت لك ، **أي**: أنك إن مت قبلي «**صليت عليك واستغفرت لك**»، وأنا حي، **أي**: وإذا مت لن يحصل هذا، هذا المعنى.

❍ **فالحاصل**: أن الشفاعة حق لا شك ولم ينكرها إلا الخوارج، والمعتزلة، لأنهم يقولون بخلود صاحب الكبيرة في النار.

أما أهل السنة: فلا ينكرونها؛ لكن أن تطلب بغير الشرطين اللذين ذكرهما الله تعالى لا يحل هذا، **قال** تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لا بُدّ من أن يأذن الله.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] الشفاعة لا تدرك **أي**: أحد، وإنما تدرك من أذن الله له وارتضاه الله عَزَّوَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد[1].

(١) نهاية الدرس الثالث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

قال المصنف: «وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ».

قوله: «وَالْمِيثَاقُ» هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فالله تعالى أشهد عليهم أباهم آدم، وأشهد بعضهم على بعض، أنه هو ربهم.

هل يؤاخذ الناس بهذا الميثاق؟!

الجواب: هذا الميثاق لا يتذكرونه؛ لكن تأتي الرسل لتذكرهم به، فلا تكون المؤاخذة بالميثاق نفسه؛ لكن إذا أتت الرسل وذَكَّرَتْهُم، وَبَيَّنَتْ لهم ما الذي يجب عليهم أن يفعلوه، وما الذي يجب أن يَكُفُّوا عنه، وقد أرسلهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقد أعطوه الميثاق الأول، فإنه يجب ويلزمهم اتباع هؤلاء الرسل صلى الله عليهم وسلم.

فالميثاق حق، وبعض أهل العلم يقول: مواثيق، أكثر من ميثاق؛ لأن العهد الذي بين العبد وبين ربه عدة عهود، فمنه هذا الميثاق، ومن الميثاق الذي بين العبد وبين ربه: **«وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ»** بينك وبين الله عهد.

ما العهد الذي بينك وبين الله؟!

الجواب: أن تطيعه، عهد الآن بين العبد وبين الله أن يطيعه **«وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتَ»**؛ لهذا قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحكمي: أنها ثلاثة مواثيق، والكلام فيها يطول الآن.

قال المصنف: « وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ، جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ. وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ من شقي بقضاء الله».

لاحظ أنه عاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى موضع القدر، وموضع القدر تكلم عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من موطن، لعله يصل إلى نحو خمسة عشر موضعا، فكثير جدًّا ما في الرسالة يتعلق بالقدر؛ لكنه فرقها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما قلنا، وكما نبهنا عن أن الشاه يقول: إنه فرق الكلام في المسألة الواحدة.

هذه المسألة مرتبطة بقدر، وهي مرتبطة بعلم الله، فنلخص موضوع القدر بإيجاز الآن، حتى يكون الكلام في القدر بإذن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أتى، **أي**: نوجز في الكلام فيه.

القدر النصوص الواردة فيه على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: إثبات ما يتعلق بالرب:

والمتعلق بالرب عَزَّوَجَلَّ مراتب القدر الأربع: (العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق) هذه مرتبطة بالرب: أن الله علم كل شيء جملة وتفصيلا، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنه لا يقع شيء إلا إذا شاءه الله تعالى، وأن الله تعالى قد خلق كل شيء، هذا مرتبطٌ بالرب، هذا القسم الأول من النصوص، يثبت هذه، والنصوص عليه كثيرة جدًّا.

القسم الثاني: إثبات ما يتعلق بالعبد، فإذا أثبتنا هذا للرب، فليس معنى ذلك: أن العبد الآن صار خاليا من المسئولية، بل هو مسئول فكونك تثبت ما يتعلق بالرب، لا يعني أن تنفي أن هناك مسئولية على العبد، بل هناك ولا شك مسئولية على العبد، وهو مسئول عن أفعاله الاختيارية التي يختارها، أما ما يقع منه بغير اختيار هذا معفوٌّ عنه، أما أفعاله الاختيارية، وهي في حياته بالملايين كثيرةٌ جدًّا، حتى مجرد تقليبك عينك، فهذا اختيارٌ منك، نطقك الآن اختيارٌ منك، جلستك على الطعام لتأكل فيه عددٌ كبيرٌ جدًّا من الأفعال الاختيارية، توجه اليد هكذا إلى موضع الطعام، تضم الطعام بيدك، ترفعه.. كل هذه أمور هذا اختيارية، كذلك تدخل الطعام إلى هذا فمك هذا اختياري، تمضغه هذا اختياري، تبلعه هذا اختياري.

أفعال العبد الاختيارية كثيرة جدا، فيؤاخذ الله تعالى العبد بالأفعال الاختيارية، التي يختارها، فإثبات ما يتعلق بالرب لا **أي**: أن العبد ليس له مسئولية، وليس له مشيئة، وليس له قدرة، بل يثبت للعبد ما يتعلق

به، وليس في التناقض بين إثبات ما يتعلق بالرب، وبين ما يتعلق بالعبد.

❍ **القسم الثاني من النصوص النهي عن الخوض والنزاع الباطل في القدر:** لا يحل النزاع: أن تضرب النصوص بعضها ببعض، تؤخذ آية من القسم الأول ليضرب بها القسم الثاني، حتى يقال: ليس للعبد اختيار، أو العكس تؤخذ أية من القسم الثاني المتعلق بالعبد لتضرب بها آية من القسم الأول، حتى يقال: إن الأمور عند العبد دون الله، لا يحل هذا، هذا مرتبطٌ بالرب، وهذا مرتبطٌ بالعبد.

ولهذا جاءت النصوص بالنهي عن الخوض والجدال في القدر، هذا مجمل ما يقال في القدر.

من ذلك ما ذكر هنا من مرتبة العلم، أن الله تعالى علم كل شيء في الأزل، علم ما العباد عاملون قبل أن يعملوه، وعلم أهل الجنة من أهل النار قبل أن يَرِدُوا.

قوله: «**وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ**»؛ فالله يعلم من يدخل الجنة ممن يدخل النار، ولذا ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه حدد أناس: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلَيٌّ فِي الجنة** ..» إلى آخر الحديث.

وثبت أن أبا جهل، وطواغيت قريش من كفرة وعتاة وصناديق قريش، الذين قتلوا في بدر أنهم من أهل النار، وكذلك أبو لهب بنص القرآن في النار، معلوم أهل الجنة من أهل النار، لأجل ذلك إذا أُعْلِمنا بأحد من أهل الجنة، شهدنا عليه بعينه: أنه من أهل الجنة، كأن نشهد لأبي بكر أنه من أهل الجنة، وإذا أُعْلِمنا بأحد أنه من أهل النار بعينه نشهد: أن أبا لهب، وأن أبا جهل من أهل النار؛ لأن الله تعالى قد علم من هم أهل الجنة من أهل النار؟

قوله: «**فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ**»، وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغضبه بعضهم مرة، فقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**لَا تَسْأَلُونَنِي فِي مَقَامِي هَذَا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ**»، فقام عبد الله بن حذافة، وقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «**حُذَافَةَ**»؛ لأن الناس كانوا يطعنون في أمه، يقولون: أمك زمن، وأنت لست ابن حذافة، فأراد أن يعرف في ذلك المقام، لما قال: «**لَا تَسْأَلُونَنِي فِي مَقَامِي هَذَا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ**»، قال من أبي؟ قال: «**حُذَافَةَ**»، قام آخر نعوذ بالله، قال: يا رسول الله أين مدخلي؟ قال: «النار»؛ لأنه رجل من أهل النار، وهو قال: «**فِي مَقَامِي هَذَا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ**»، قال: أين مدخلي؟ قال: «**فِي النَّارِ**» أنت من أهل النار؛ لأنه قد عُلِم من هم أهل الجنة من أهل النار، فكما قال المصنف: «**فَلَا يُزَادُ فِي**

ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يُنْقَصُ».

قوله: «وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ»؛ لأن الله تعالى قد علم كل شيء قبل أن يقع وهذا علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما كان، وبما يكون، وبما سيكون، فهو تعالى قد علم هذا، ومن ذلك ما يتعلق بعلمه تعالى بأهل الجنة من أهل النار.

قوله: «وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» كل ميسر لعمل يعمله، كما جاء في الحديث: أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، لا أحد يعلم من هم أهل الجنة من أهل النار؛ لكن الذي يعمل ويدأب في طريق أهل الجنة -بإذن الله وفضله وكرمه وإحسانه- هذا ذاهب إلى الجنة، دون أن نحدده؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل:٥-٦] وهذا وعد، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ أين سيذهب هذا؟ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:١٠].

ولهذا إذا ثبت الإنسان على الحق واستمسك به، وسأل الله تعالى عدم الزيغ، وأبعد بنفسه ونأى عن مواطن الفتنة والضلال، فيرجى: أن يختم له بخاتمة خير، وهذا وقع لكثير ولله الحمد من المسلمين، يختم لهم بخاتمة حسنة، ويرجى لهم ذلك.

وأنت لا تستطيع لو رأيت أحدا يختم لها بالخاتمة الحسنة: أن تقولوا هو من أهل الجنة، حتى لو شهد: أن لا إله إلا الله ومات، فحتى مع ذلك لا تستطيع أن تشهد له بعينه، لكنك ترجو كما سيأتي، وهذا ولله الحمد كثير في المسلمين بفضل الله ومنته، أن من كانوا ثابتين على الحق ونشئوا على طاعة الله، استمروا عليه، حتى جاءهم الأجل، فماتوا ميتة ظاهرها حسن الخاتمة. وفي الحديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَال بِالخَوَاتِيم**».

فالذي يثبت على الحق، ويسأل الله تعالى العافية، ويفتقر إلى ربه في الثبات، هذا يُرجى: أن يموت على أحسن حال، ويقع هذا ولله الحمد لكثير من المسلمين، وشواهده كثيرة.

أما من يكون والعياذ بالله على حالٍ من السوء والضلال والزيغ والعناد، فالغالب أنه يختم له بطريق اهل النار، إلا أن يتداركه الله برحمته هذا وضع آخر، أو أن يزيغ إنسان -عياذا بالله- في آخر وقته، من الحق إلى الباطل فيموت على سوء خاتمة، هذا وضع آخر؛ لكن من حيث العموم، كما ذكر عبد الحق

الأشبيلي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول: ولله الحمد من حيث العموم، أن من يكونون ثابتين على الحق في حياتهم، أنهم في الغالب يختم لهم بفضل الله بخاتمة حسنة.

قوله: «وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»، فالعبرة بالخاتمة، فمن مات على خاتمة الخير، رُجي له ذلك، ترى سبحان الله العظيم عجائب أقدار الله، شخص في سن التسعين، أسلم وعمره تسعون سنة، بعد أن أمضى في الكفر تسعين سنة، ثم يموت مسلمًا، كل تلك السنين هذه كأنه ما وقع منه أي زلة؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها بفضل الله ورحمته، إذ العظة بالخاتمة.

ومن انتكس والعياذ بالله، فإنه حتى لو عاش سنين طويلة جدًّا في الخير والحق والصلاح، ثم صار في خاتمة أمره إلى السوء، فإن العبرة بخاتمته هذه، لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ**».

قوله: «وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ»، الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي قدر: أن هذا يسعد.

قوله: «وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ»، الله قدر أن يشقى، وهو تعالى أعلم بأهل السعادة من أهل الشقاوة.

قال المصنف: «وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]. فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

قوله: «وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرٌّ» يقول أهل العلم: القدر سر من أسرار الله، ولك أن تتفهم هذه المسألة، هذا السر من أسرار الله، هذا ليس مثل أسرار الملوك، يمكن أن تفشو، ويمكن أن تظهر، سر من أسرار الله تعالى يستحيل استحالة تامة أن يصل إليه أحد.

فلما كان كذلك كان الخوض في هذا من العبث؛ لأنه سر، لم يطلع الله تعالى عليه حتى الملائكة المقربين، ولا الأنبياء المرسلين.

قوله: «وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ»، التعمق في موضوع القدر، وكثرة المجادلات والمنازعات، والسؤال بلما، وكيف بهذه الطريقة ذريعة من الذرائع للخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، هذه

العبارات منه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عبارات متقاربة، التعمق: المبالغة في طلب الشيء، المبالغة في طلب القدر والخوض فيه، والغوص في مسائله ذريعة **أي**: وسيلة، من الوسائل التي توصل الإنسان -والعياذ بالله تعالى- إلى ما يضره، إلى الحرمان، ودرج من درجات الطغيان.

قوله: «**فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ**»، هنا بالنصب، على التحذير.

قوله: «**فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ**»، **أي**: من الخوض في القدر.

قوله: «**نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً**» لا تفتح الباب هذا على نفسك، بالوسوسة، أو بالنظر، وما تزعم أنه نوع من التعمق، والبحث العلمي، والمعرفة العقلية، اترك واترك عنك التفكير فيه.

قوله: «**فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ**»، فعلم القدر مطويٌّ عن الأنام، **أي**: عن الناس.

قوله: «**وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ**»، نهاهم عن هذا الموضوع، كما قال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

قوله: «**فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟**»، فقد رد حكم الكتاب، يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأصل قرآن وسنة، ولا يقال للأصل: لم؟ ولا كيف؟ **أي**: ما نقول لرب العالمين، لم؟ جعلت المغرب ثلاثا وجعلت العشاء أربعا، لا يسأل رب عن هذا مطلقا.

لماذا مثل هذه الأسئلة لا توجه لله نهائيا، ولماذا جائز في توجيهها للناس فيما بينهم، في المعاتبات وفي السؤال؟

الجواب: لأن الناس متقاربون، أما عبد يقول للرب لم؟ لا يصلح هذا مطلقا، ولا يقال للربى: كيف؟.

قوله: «**فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**»، ويأتي الكلام -إن شاء الله- على الكفر لاحقا، أنه إذا رَدَّ كلام الله تعالى مع علمه بأن هذا كلام الله، فإذا رد كلام الله معناه: أنه كفر به، فعند ذلك يكون من الكافرين.

الواجب الحذر من الدخول في مثل هذه المسائل، فإن الله تعالى قد يسلط على الداخل الحيرة التي تكلمنا عنها، قبل قليل التي أصابت المتكلمين، وصار الواحد منهم في حال من الاضطراب والتشوش

الشديد بسبب إقدامهم على ما لا يحل لهم الخوض فيه.

❁ **قال المصنف:** «فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ لأن الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ، وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ».

لما تكلم عما مضي، قال: «فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ» المؤمن في عقيدته، ممن نور الله تعالى قلبه، ومن أولياء الله عَزَّوَجَلَّ، يقول: هذه الدرجة التي مضت من الكلام على المسائل العقدية السابقة هي درجة الراسخين في العلم.

ثم ذكر: أن العلم على نوعين اثنين:

❍ **العلم الأول:** «عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ»، وهو هذا الوحي الذي أنزله الله تعالى وأحكامه واضحة، وعقيدةٌ واضحة.

❍ **العلم الثاني:** «وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ» وهو علم الغيب، فإنكار العلم الموجود كفر؛ لأنه يكون إنكار للعلم الذي أتى من عند الله تعالى بوحيه، وادعاء العلم المفقود وهو الغيب كفر؛ لأن ادعاء الغيب كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، الذي جاء به الوحي، وترك طلب العلم المفقود وهو الغيبي.

❁ **قال المصنف:** «وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ».

❍ **اللوح:** هو المحفوظ، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، وهذا اللوح المحفوظ لا يحيط به إلا الله عَزَّوَجَلَّ، قد كتب فيه كل شيء، كل شيء مهما دقَّ، ومهما كان يسيرا، فإنه قد كتب في اللوح المحفوظ؛ لهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] لأن الإنسان يتهول تهولًا، ولا يُكَذِّب؛ لكن أمر مهول عظيم: أن كل شيء مكتوب، حتى الدقائق اليسيرة، من الحركات والسكنات، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، حتى هذه الدواب الصغيرة، حتى هذه الحشرات، قد كتبت لها آجالها

وأرزاقها، ويعلم رب العالمين المستقر الذي ستكون إليه، كل هذا قد كتب، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد:٢٢] هذا أمر عظيم هائل، يفوق تصور الإنسان: أن كل شيء مكتوب.

لهذا قال: «وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ»، «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُب، قَالَ: وَمَا اكْتُبُ؟ فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُو كَائِن»، فَكُتِب -بإذن الله- عَزَّوَجَلَّ جميع ما يكون، وهذه الدرجة الثانية التي قلنا أنها من القدر، الدرجة الأولى: درجة إثبات العلم، الثانية: إثبات الكتابة.

فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موطن، ثم عاد من جديد، وذكر موضوع الكتابة في موطن آخر، وبجميع ما فيه قد رُقِم، جميع ما كتب في اللوح المحفوظ نؤمن به، وأن الله تعالى كتب فيه مقادير الخلق، سماه الله تعالى بـ«الكتاب المبين».

❁ **قال المصنف:** «فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ - لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ، لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا - لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

تكلّم عن أمر: التقدير الإلهي، والمشيئة الإلهية: أن الخلائق، جميع الخلائق لو اجتمعوا كلهم على أمر قد قضى الله تعالى أن يكون، وأرادوا أن يمنعوا هذا الأمر من أن يكون، فإنهم لن يقدروا على ذلك، والعكس كذلك: لو اجتمعوا على شيء لم يكتب الله تعالى أن يقع، وأرادوا أن يقع لم يقدروا على ذلك، فلا يقع إلا ما أراد الله، والذي يمنع الله تعالى من وقوعه لا يمكن أن يقع.

لهذا أجمع المسلمين على هذه الكلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، الذي يشاء الله يكون، والذي لا يشاءه تعالى لا يمكن أن يكون، وكأنه أخذ هذا من قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، القلم الذي يُكْتَبُ به القدر جف وانتهى وكُتِبَ القدر، وليس هناك مجال لأن يكتب كتابة جديدة فيما يتعلق باللوح المحفوظ.. هذا انتهى أمره، وقد علم الله تعالى ذلك كله، بما هو كائن إلى يوم القيامة.

قال المصنف: «وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ. وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ وَلَا مُحَوِّلٌ وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ».

هذه الفائدة العظيمة من الإيمان بالقدر: أن ما أخطأك ولم يصبك، أن تعلم أن هذا الذي أخطأك لم يخطئك مصادفة هكذا، بل لأن الله شاء ألا يصيبك، وأن الشيء الذي أصابك يستحيل ألا يصيبك، فعند ذلك يعلم العبد أمر التسليم لله تعالى.

فالشيء الذي يفوتك، مما تحرص عليه، وتبذل فيه الأسباب ثم لا يقع، تقول هذا أمر لا يمكن أن يقع عليه لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قضى ألا يقع، هذا فات، ويكون عندك الرضا بقضاء الله تعالى، فإن ما أخطأك يستحيل أن يصيبك، والذي أصابك يستحيل أن يخطئك.

فليس للعبد أن يقول: لو أني ما خرجت هذا الوقت، ما حصل لي هذا الحادث، أو حصلت لي هذه المصيبة، لا يحل مثل هذا، هذا أمرا قد قضاه الله، ولو كان موضع وفاة لبرزت إلى مضجعك لتتوفى فيه.

وهذه فائدة عظيمة من فوائد الإيمان بالقدر: أن الإنسان لا يجلس في حال من التلوم، ولهذا نهينا عن كلمة: لو، فإن لو تفتح عمل الشيطان، كل إنسان في حال من بذل السبب والسعي فيما ينفعه في دينه ودنياه، فإذا فاته: علم أن هذا الأمر يستحيل أن يصيبه، ويحسن بالله الظن.

من المهم أن تحسن بالله الظن، وأن هذا الأمر الذي بذلت فيه الأسباب الطويلة، والأوقات المديدة ليقع، ثم لم يقع، ارضى بقضاء الله، لعل الله صرف عنك؛ لأنه وهو أرحم بك من أمك وأبيك، قد علم أن الضر كل الضر في أن يقع لك هذا، فجاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال: «إن العبد ليتهيأ له الأمر، من التجارة أو الإمارة، فينظر الله إليه فوق سبع سموات، ويقول لملائكته: اصرفوه عنه، فإني إن يسرته له دخل النار، فيصبح ويقول: شقيت بفلان، فلان هو السبب هذا، وهو لا يدري: أن الله تعالى صرف هذا الأمر عنه؛ لأنه لو تحقق لدخل النار، يقول: كله من فلان هذا، فهذا الأمر الذي فاتني كله بسبب فلان، عبد ضعيف المدارك، هذا الأمر لو تهيأ لك من تجارة، أو من إمارة، كانت سببا في دخولك النار، الله رحمك، وصرفه عنك، وفاتك هذا، ستكون من أهل الجنة، ولو تهيأ لك لكنت من أهل النار، فيقول الإنسان: كل هذا بسبب فلان، فتجد من يقول: بسبب عينه، وآخر يقول: بسبب إنه حسدني .. إلى آخر

هذه الأقوال، وكذا يفكر الإنسان: أن هذا الأمر كله بسبب هؤلاء، وأن هؤلاء هم الذين تسببوا فيه، ولا يضع في ذهنه: أن هذا الأمر كان يمكن أن يكون عليه فتنة في دينه، وأن يضره في آخرته، فالعبد ينبغي أن يحسن بالله تعالى الظن، ويكون للحياة مذاق وطعم، من أَجَلِّ ما يكون.

فيكون الإنسان مستريح، إن أصابه خير، قال: هذا من فضل الله، وإن أصابه ضر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠]، ويقول: هذا بسببي أنا، ولولا عفو الله لكان الأمر أشد وأبلغ؛ لكن الله لطيف؛ لهذا هؤلاء لا يذهبون إلى الأطباء النفسيين، ولا يعرف شيء اسمه الاكتئاب، حتى عوام أهل السنة، العجائز، وكبار السن إلى سنوات قريبة ما يعرفون شيء اسمه الطب النفسي نهائيا مطلقا، فعندهم من القناعة والرضا عن الله عَزَّوَجَلَّ، ما قد يصاب الواحد منهم في يوم واحد بستة أو سبعة من أولاده فتجده يصبرك أنت، قل: الحمد لله، الحمد لله على قضاء الله، الحمد لله أن الأمر ما كان أعظم، الحمد لله أنهم ماتوا على الإسلام، تتعجب من هذا.

هذه العقيدة -**أيها الإخوة**- أثرها كبير جدًّا في الناس، ليست العقيدة أخذ درجات وشهادات، العقيدة قلب عظيم يكون فيه الاعتقاد راسخا، ويتأثر به اللسان والجوارح، فقد يكون في عامي لا يقرأ ولا يكتب، وهذا يقع يراه الناس، في أناس عندهم من التجلد والصبر شيء عظيم، لا يكون مثله إلا عادة للعلماء، ولكنهم في حال من الطمأنينة والراحة والرضا عن الله، تعجب من طيب حياته، وكأن هذا الشخص إذا رأيته تقول: هذا الشخص لم يصب في حياته بأي نكبة، ولا يعرف أي مصيبة في حياته من سعة صدره، وطيب روحه، وحسن تعامله مع الناس، وهو مصاب بالمصائب التي لا يحيط بها إلا الله؛ لأنه أحسن التعامل مع القدر، يعلم أن ما أخطأ، يستحيل أن يصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

ولهذا أعاد المسألة، قال: «**وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ**» وأنه تعالى قضى ذلك: «**تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا**» -عزّ اسمه-، وأنه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا يمكن أن يعقب، ولا يزال، ولا يغير، ولا ينقص، ولا يزاد، لا في أمره في السموات ولا في الأرض.

❁ **قال المصنف:** «وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨] ».

قوله ذلك إشارة إلى ما تقدم، من الإيمان بالقدر، وأن الله تعالى سبق علمه بالكائنات، هذا من عقد الإيمان، وأصول معرفة الرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته؛ لأن القدر يرجع إلى ربوبية الله، القدر هو قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، ثم ذكر الآيتين.

❁ **قال المصنف:** «فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ قَلْبُهُ فِي الْقَدَرِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا».

لا يحل للإنسان أن ينازع رب العالمين في قدره، ومن هو الإنسان حتى ينازع الله؟ فبجهالته وقلة علمه يكون خصمًا يخاصم رب العالمين، ويعترض على رب العالمين في قدره.

قوله: «الوَيْلُ لَهُ»، إن هو خاصم الله تعالى، وصار له في القدر هذا القلب السقيم المريض، التمس بوهمه، **أي:** بخوضه في القدر، فأحصى الغيب، وهو سر كتيم مكتوم.

قوله: «وَعَادَ بِمَا قَالَ»، أي قول يقول فيه فهو أفاكٌ أثيم؛ لأنه يقول بلا علم.

❁ **قال المصنف:** «وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ».

تكلم عن العرش وعن الكرسي، والعرش هو أعظم المخلوقات على الإطلاق، والعرش حتى تعلم عظمة هذا الخلق الهائل، يقول تعالى في الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥] فالسماوات والأرض في الكرسي.

ولهذا جاء في الحديث: «أَنَّ السَّمَوَاتِ فِي الكُرْسِيِّ، كَدَرَاهِمِ سَبْعَةٌ، أُلْقِيَتْ فِي تِرْسٍ»، الدراهم الصغير العملة الفضية الصغيرة، كدرهم سبعة ألقيت في ترس؛ لأن الكرسي وسع السموات والأرض.

العرش أعظم من الكرسي؛ لأن الكرسي في العرش مثل حلقة، الحلقة الشيء الدائري، مثل ساعتك، هذه تسمى حلقة، ألقيت في فلاة، **أي:** في برية، **أي:** نسبة الكرسي إلى العرش، كنسبة هذه الحلقة الصغيرة التي ألقيت في برية ومفازة كبيرة.

هذا الكرسي وسع السموات والأرض؛ ولهذا عظمة هذه المخلوقات، دالة على عظمة خالقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا أعظم المخلوقات: العرش، إذ الكرسي بالنسبة للعرش هو بمثابة الحلقة الملقاة في برية واسعة، وهذا الكرسي وسع السماوات والأرض التي نحن فيها الآن، وسع السماوات السبع والأرضين السبع، فهي في الكرسي.

وهذا من دلائل عظمة هذا الخلق، وأن الله تعالى لا يمكن أن يحاط به، لا يمكن أن يحاط بهذه المخلوقات عظمة، إذا كانت السماوات والأرض قد وسعها الكرسي، والكرسي بالنسبة للعرش، مثل هذه الحلقة الملقاة في برية، فهذه مخلوقات هائلة لا يتصورها الإنسان.

ولهذا يمثلون تمثيلًا مناسبًا جدًّا، يقولون الإنسان وهو في بطن أمه، قد أحيط بهذا الرحم وكان بمثابة **أي**: نصف الدائرة، ما الذي يعرفه الإنسان في بطن أمه وهو جنين، هذا الموضع الذي أمامه، فإذا خرج، وإذا الدنيا هذه على سعتها وهولها وما فيها من سموات وأراضين وجبال، فبالنسبة لعلم الإنسان كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨]، لا يعرف الإنسان وهو في بطن أمه جنين إلا هذا المحيط به الضيق هذا، فإذا خرج وإذا بهذه الدنيا التي هي أضعاف أضعاف ما كان فيه، الكرسي بهذه العظمة، العرش بهذه العظمة. وهذا يدل على عظمة من خلقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد استوى الله تعالى على هذا العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، بمعنى: ارتفع وعلا على العرش عزا اسمه، ولهذا قال: «**وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ**» وهو في هذا منابذ للمتكلمين، الذين يتأولون حتى العرش، يقول: العرش المراد به الملك، فمعنى استوى العرش، يقولون في زعمهم: معناه استولى على الملك، وليس هناك عرش له قوائم، وحملة من الملائكة يحملونه، فقال: «**وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ**»، ردا على هؤلاء الذين يتأولونه.

❁ **قال المصنف: «وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ».**

هذا الموضع عظيم جدًّا في الطحاوية.

قوله: «**مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ**»، **أي**: أن الله تعالى إذا استوى العرش، فليس استواؤه -عز اسمه- استواء محتاج، كما يحتاج الإنسان إلى الشيء الذي يستوي عليه معاذ الله، فهو مستغن عن

العرش وما دون العرش؛ لأن كل المخلوقات دون العرش، العرش أعلى المخلوقات على الإطلاق، فجميع المخلوقات دون العرش، فهو استوى على العرش، أي: ارتفع وعلى على العرش، وهو غير محتاج إلى العرش سبحانه، ولهذا قال وهو مستغن عن العرش وما دونه، وما دون العرش من المخلوقات.

قوله: «**مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ**» وهذا موضع مهم جدًّا في الطحاوية، دال على أن العبارات المجملة السابقة منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا تعني نفيه للعلو، وفيها رد مهم للغاية على الذين أرادوا أن يلزموا أبا جعفر من خلال الكلمات السابقة بأنه ينفي العلو، يصرح هنا بأن الله تعالى فوق المخلوقات فوق العرش، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه محيط بكل شيء.

قوله: «**وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ**» أن الله تعالى يحيط بهم ولا يحيطون به، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣].

❁ **قال المصنف:** «**وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا**».

هذا فيه إثبات صفتين من صفات الرب عَزَّوَجَلَّ:

❍ **الصفة الأولى:** صفة المحبة؛ لأنه تقدم أن الخلة أعلى درجات المحبة، قال: «**وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»، وكذلك اتخذ الله محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليلا، وكلم الله موسى تكليما.

قوله: «**إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا**»، **أي:** أنَّ نثبت أيضًا صفة الكلام لله تعالى، فأثبت بهاتين الصفتين ونابذ النفاة، الذين ينفون المحبة كالأشعرية مثلا، ينفون المحبة، وهنا يثبت المحبة، وهكذا الكلام، تقدم ما ذكره في الكلام مفصلًا، عاد هنا من جديد ليثبت أن الله تعالى كلم موسى تكليما إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا بالنص الوارد في كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **قال المصنف:** «**وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**».

ذكر هنا ثلاثة من أركان الإيمان، فقال: «**نُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ**» عليهم الصلاة والسلام، الإيمان بالملائكة

أحد أركان الإيمان، «وَالنَّبِيِّينَ» وكذلك الإيمان بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

قوله: «وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ» والإيمان بالكتب التي أنزلها الله تعالى على هؤلاء الأنبياء، «وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ».

۞ **قال المصنف:** «وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ».

يقول: إنَّا نُطْلِقُ على أهل القبلة: أنهم من المسلمين، ما داموا معترفين ومقرين بما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما داموا مصدقين بما جاء به.

وظاهر كلامه: أنه يرى أن الإسلام والإيمان شيء واحد؛ لأنه أطلق في قوله عليهم: «مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ».

والصواب: أن بينهما تباينا، إذا أطلق الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، وإذا أطلق الإيمان وحده دخل فيه الإسلام، أما إذا قرن في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] ونحو ذلك كما في حديث جبريل، «مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ»، قبله قال: «مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

فنقول: الإسلام يراد به الأعمال الظاهرة، والإيمان: الاعتقادات الباطنة، هذا إذا اقترنا، أما إذا أطلق الإسلام وحده شمل الجميع، فيدخل الإسلام في الإيمان. وهكذا إذا أُطلق الإيمان يدخل فيه الإسلام.

قالوا: مثل هذا الفقير والمسكين، الفقير جعله الله صنفا، والمسكين جعله صنفا ثانيا، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠]؛ لكن إذا أطلق الفقير وحده دخل فيه المسكين، وإذا أطلق المسكين وحده دخل فيه الفقير، قالوا: فكذلك الإسلام والإيمان، وهذا هو الصحيح.

قوله: «مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ»؛ **أي:** قد أقروا به بقلوبهم «وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ» وهذا لا يكفي؛ لأن هذا جزء من الإيمان، والإيمان قول واعتقاد وعمل؛ لا بُدّ من العمل كما سيأتي التعليق عليه -إن شاء الله- لاحقًا، وأنه لا بُدّ مع الإقرار من العمل.

۞ **قال المصنف:** «وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ».

لا نخوض في الله، كيف نخوض في الله عياذًا بالله؟ نخوض في رب العالمين؟ الأشياء التي يخاض فيها، المسائل القابلة لأنْ يُخاض فيها، المسائل القابلة للنقاش، قابلة للأخذ والرد، أما الله تعالى كيف يخاض في الله؟

الله تعالى لا يتكلم عنه تعالى إلا بما جاء في النصوص من كلامه، أو كلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما أن يخاض في الله معاذ الله أن يخاض في رب العالمين، فلا يتكلم في الله إلا من خلال النصوص، فلا يخاض في الله، ولا يكون كأنه والعياذ بالله موضع من الموضوعات القابلة للأخذ والنقاش.

قوله: «وَلَا نُمَارِي» أي: لا نجادل في «دِينِ اللهِ» عَزَّوَجَلَّ، الأصل: أن نقبل ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونسلم، ولا نترك دين الله تعالى عرضة للمجادلات والمخاصمات والمناظرات؛ لأن هذا قد يؤدي إلى شيء من التلبيس على العامة؛ لكن إذا جاء من يحتاج إلى مجادلة؛ ليوضح له الحق فلا إشكال، أما الأصل: ألا يطلع العامة على المناظرات، والمجادلات؛ لأنه قد يترتب على هذه المناظرات والمجادلات تسرب شيء من مقالات أهل الباطل، ثم يكون العامي غير قادر على إزاحة هذا الباطل الذي وصل إليه، أو أن يرد على الباطل لكن لا يستوعب العامي هذا الرد، فتدخل عليه الشبهة، ولا يستطيع فهم ردها.

❍ **فالأصل:** ترك المماراة والمجادلات في دين الله، وإنما إذا احتيج إلى المناظرة، والمجادلة فبضوابط محددة، تُعلم عند أهل العلم، عند ذلك يدخل فيها، ولا يكون الأصل هو المجادلة والمناظرة.

❍ **الأصل:** تلقين الناس الحق، وتعليمهم ما يجب أن يعتقدوا، والكف عما لا يجوز أن يعتقدوه، وما الذي يجب أن يفعلوه؟ وما الذي يجب أن يتركوه؟ هذا هو الأصل، أما المجادلة فلها ضوابط محددة لا يلجأ إليها إلا بضوابطها.

۞ **قال المصنف:** «وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ».

ذكر الجدال في القرآن، هذه المجادلة في القرآن الذين جادلوا في القرآن هم الكفار ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ

لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر:٥]، القرآن ليس موضع مجادلة، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُم فَقُومُوا».

❍ فالأصل: أن القرآن يتعلم، ويعرف فقه أحكامه واعتقاده، ولا يكون موضعا للمماراة، والمجادلات، والخوض، والنزاع؛ لأن هذا يؤدي إلى الاضطراب في عقيدة الناس، عادة كما تلاحظ هنا للتأكيد على ما سبق الكلام عليه في صفة الكلام؛ لكنه خصه بالقرآن.

قوله: «وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ»؛ **أي:** عاد لتكرار ما تقدم، وقد ذكرنا أن الشارح ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: إنه يكرر المسألة، مما يدلي على أنه رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان يريد وضع عقيدة مرتبة محددة، بحيث ينتقل من موضوع إلى موضوع، وإنما كان يعن له الموضوع فيكتب، ولهذا تكرر عنده تأكيد هذا الكلام؛ لكن أضاف هنا: «لَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ»، فجماعة المسلمين أجمعت، واتفقت على: أن القرآن بالاعتقاد الذي تقدم، فلا نخالفهم ونقول بقول أهل الباطل والزيغ.

❁ **قال المصنف:** «وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ».

العبارة الأولى، عليها مأخذ وملحظ بلا شك، والعبارة الثانية سليمة.

قوله: «وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ» مثل ما ذكر الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في تعقبه، قال: هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود، **أي:** لا يجعل الكفر، وإن كان هذا سيأتي: لا يجعل الكفر مقرونا بالذنب الذي لا يستحل.

❁ **وهنا سؤال: كلمة الذنب ماذا تشمل؟**

الجواب: تشمل كل المعاصي، بما فيها ترك الواجبات، مثل: ترك الصلاة، فترك الصلاة ذنب من الذنوب.

❍ **سؤال:** هل يقال: إن من ترك الصلاة يكون قد وقع في ذنب، فلا يكفر بتركها إلا إذا استحله؟

الجواب: لا.. الصواب: لا، الصواب: أن ترك الصلاة كفر، ولهذا الإمام أحمد أنكر هذه العبارة، لما قال له رجل: لا نكفر أحدا بذنب، قال: اسكت ترك الصلاة كفر، **أي**: إطلاق أنا لا نكفر بذنب مطلقا، هذا ليس بدقيق.

والذنوب التي لا يكفر بها: هي الكبائر، المعروفة مثل الزنا وشرب الخمر والسرقة، هذه إذا وقع فيها المسلم، فإنه لا يكفر بإجماع أهل السنة؛ لكن هل هو إذا ترك الصلاة يكون قد أذنب، أو لا؟ بلى، يكون قد أذنب، فلا نطلق أنه لا يكفر بكل ذنب، لا يكفر بالذنب الذي وقع فيه ما لم يستحله؛ لكن نقول: لا نكفره بأي ذنب، فمن الذنوب ما يكفر بها، ومن الذنوب ما لا يكفر به.

الذنوب: الكبائر المعروفة، هذه لا يكفر بها إلا الخوارج؛ لكن ترك الصلاة أليس ذنبا؟ بلى، فهل لا يكفر بها؟ لا شك أنه يكفر بها.

والإمام أحمد أنكر هذا الإطلاق، ولكن لا نكفر بكل الذنوب؛ لأن من الذنوب ما لا يكفر به، وهي الكبائر، ومنها إذا أطلقنا عموم الذنب، وأنه يدخل فيه ترك الواجبات، كترك الصلاة، فإن هذا الإطلاق ليس بدقيق.

فإذا وقع المسلم في ذنب من الذنوب الكبائر، كشرب الخمر، أو الزنا، أو السرقة، أو القذف، فلا شك أنه لا يكفر وأنه يكون من المسلمين، ولو مات صلينا عليه، ولأجل ذلك تقام عليه الحدود، ولو كان يرتد ما وجد حدود.

فلذا: إن أقوى ما يرد به على الخوارج، أن هذه الذنوب التي يكفرون بها لها حدود مستقلة، المرتد له حد واضح، المرتد له حد وله أحكام، يقتل على الردة، بالتالي لا يصلى عليه، ولا يورث من قبل ورثته، يكون ماله فيئا لبيت المال، ولا يدفن مع المسلمين؛ لأنه مرتدّ.

وَإذا شرب الخمر، يقام عليه الحد فقط، فدل وجود الحد على أنه ليس بكافر، وإلا لو كان مرتدًّا لقتل مباشرة، وهكذا السارق كونه تقطع يده ثم يخلى سبيله، يدل على أنه ليس بكافر؛ لأن لهذه الذنوب عقوبات محددة، فلو كانت كفرا، لكان لها حد واحد هو القتل على الردّة.

وهذا من أقوى ما يرد به على الخوارج، أن الخارجي لا يستطيع أن يقول في قوله تعالى: ﴿**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ [المائدة:٣٨] لا يستطيع أن يقول: لا، ما حكم السرقة عندك؟ يقول: كفر،

وما حد السارق؟ حده: قطع يده، ثم تترك الكافر؟! فالسارق له حد قطع يده بنص القرآن، ثم يترك، فدل على أنه ليس بكافر.

أما إطلاق: أن من وقع في أي ذنب مهما كان الذنب، فليس بكافر، ففيه إشكال هذا الإطلاق؛ لأنه يدخل فيه حتى ترك الصلاة.

ولهذا أنكر أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- هذه العبارة، وهي تحتاج إلى تفصيل، قال: من وقع في الكبائر، فإنه لا يكفر، إلا إذا استحلها، إذا قال: إن الخمر مباح، أو أن السرقة مباحة، هذا يكفر حتى لو لم يسرق، يكفر حتى لو لم يشرب الخمر، هذا وضعٌ آخر.

إذن: الاستحالة معناها: أنه كذب الله تعالى في حكمه.

قوله: «وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ»، هذا رد على المرجئة، وهذا الكلام مستقيم وصحيح؛ لأن المرجئة منهم غلاة، يقولون: إن الإيمان لا يضر المؤمن معه أي ذنب؛ لأن حسنة من الكبر والعظم بحيث تسهل معها جميع الذنوب، فقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، فرد على هذا الكلام الخبيث، وخطير جدا، إذا قيل: لا يضر مع الإيمان معصية وذنب، هذا معناه: كأن في نوع من التحريض للناس على الذنوب، ما دمتم مسلمين فالذنوب لا تضركم، يترتب عليه خطر بالغ، ولهذا قال شاعرهم قاتله الله:

[فأكثر ما استطعت من المعاصي إذا كان القدوم على كريم]

فالمعنى فيه تحريض للناس على المعاصي، يقول: ربك كريم، كما يقول بعض الجهلة، إذا وقع في ذنب يقول: الله كريم، والله رؤوف رحيم، لا تشددون على الناس، أقول لك: لا تترك صلاة الفجر حتى يخرج وقته، وتقول: رؤوف كريم، لم تضع الكلام في موضعه، أنا أكلمك عن جرم عظيم وقعت فيه، أنت الآن تقع في فواحش وفي زنا، ثم تقول: رب العالمين كريم رؤوف، تعلمنا أنه رؤوف كريم؟ هو القائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٩٨] .

فهو غفور رحيم؛ لكنه أيضًا شديد العقاب، فلا تأخذ جزءا من النصوص وتترك جزءا، هذه طريقة المرجئة، وهي للأسف موجودة في بعض العامة الجهال، **أي**: تيار الإرجاء -يا إخوة بعض الأحيان- لا يكون الشخص مرجئا، هو من عموم أهل السنة؛ لكن يقع في الإرجاء ولا يشعر.

فإذا قيل له في الذنوب: كف عن عقوقك لوالديك، وقطيعتك لرحمك، كف عن أكلك للحرام، وأكلك للربا، قد شاب شعرك وأن تأكل الربا، يقول: رب العالمين غفورا رحيما، والربا من الكبائر، توعد الله صاحبه بالنار، ثم تأتي لتذكر المغفرة والرحمة في هذا الموطن، هذه طريقة المرجئة؛ لكن هو نفسه ليس بمرجئ؛ لكن هذا القول من أقوال المرجئة دخل عليه.

وقد يدخل على العامة بعض أقوال الخوارج، وهم لا يشعرون أنه من أقوال الخوارج، مثل: إذا سمعوا ذنبا من الذنوب الشديدة، **أي**: كإنسان والعياذ بالله قتل والده، قالوا: هذا ليس بمسلم، ما في مسلم يقتل أباه، هذا نوعا من تكفيره، فهذا من ضمن تيارات مقالات الخوارج دخلت على الناس، وهم ليسوا بخوارج، ولكن تدخل عليهم مقالة من مقالات الخوارج، وهذه من الخطورة بمكان.

ويجب على الدعاة إلى الله، والعلماء: أن يتفطنوا، **أي**: هناك مقالات للفرق، توجد في عوام أهل السنة وهم لا يشعرون، مثل ما قال: هذه الإرجائية، أو المقالة تلك الخارجية، فَيُنَبَّهُون على أن هذا القول في أصله قول الخوارج، وأن هذا القول في أصله قول المرجئة، وإن لم يكونوا هم من عوام أهل السنة، وإن لم يكونوا مرجئة، وإن لم يكونوا خوارج، فينبهون على مثل هذه الزلات.

۞ **قال المصنف:** «وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِيهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ».

هذا القول في أهل الإحسان: من ماتوا على الإحسان، والصلاح، والهدى، والسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر الخير، ولزوم الصلوات، والتقوى هذا نرجو له رجاء، نرجو له الخير، ولا نقطع له، حتى لو بلغ في الإيمان ما بلغ، **أي**: عمر بن عبد العزيز، أحمد بن حنبل، الشافعي، لا نستطيع أن نقول أن أحدا منهم من أهل الجنة هذا الصحيح، لا نقطع لهم بأنهم من أهل الجنة؛ لا نقطع لأحد بأنه من أهل الجنة إلا بنص؛ لكن لا شك أنا نرجو لهم، فلهذا يقول: «وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ» **أي**: ما وقع من تقصير وذنوب وأن: «يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ»؛ لأنه كما تقدم لا أحد يدخل الجنة إلا بفضل الله ورحمته.

قوله: «وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ»، **أي**: مع ذلك، لا نقول: هؤلاء آمنوا مثل ما يقول بعض العامة، وهذا أيضًا من مقالات التي ينبهون عليها، إذا رأوا رجلا مسنا صالحا في دينه، وعبادته، وكفه عن الشر، وعن إيذاء

الناس، وتحمله للجهالات من جيرانه، وغيرهم، ثم مات، قالوا: فلان هذا من أهل الجنة.

لا تجزم بهذا الكلام، ولا يحل لك أبدا، يقول: هذا من أهل الجنة، إذا ما كان هذا من أهل الجنة من هم أهل الجنة؟ كلام خاطئ هذا لا يجوز، كيف تشهد لهذا بعينه بأنه من أهل الجنة؟

وهكذا الحال بالنسبة للعصاة، العصاة لا نجزم للواحد منهم بأنه هالك؛ لأن الله قد يتلقاه برحمته، ولا نقول: إن هذا الشخص من أهل النار وأن كان من عصاة المسلمين الذين أسرفوا على أنفسهم إسرافا شديدا؛ لكن ما نقول إنه من أهل النار؛ لكن هل نخاف عليه؟ نعم، نخاف عليه، فيخشى عليه أن يعاقبه الله تعالى، لكننا نخاف خوفا، ولا نجزم أن الله تعالى سيعاقبه.

ولهذا قال: «**وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ**»؛ **أي**: للمحسنين، و«**وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ**»، **أي**: المسيء نستغفر له، ألست تصلي صلاة الجنازة على أحد من العصاة الذين تعلم أنه كان يشرب الخمر؟ وصلاة الجنازة ما هي؟ هي دعاء له صلاة الجنازة، صلاة الجنازة ما هي إلا دعاء واستغفار له؟ سؤال الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحمه، مع ذلك تستغفر له، وتدعو الله تعالى أن يعفو عنه، وتخاف عليه تخاف عليه العقوبة؛ لكن لا نقنط الناس، لا نأتي إلى الناس من شدة الحماس وبغضنا للمنكرات، ونتكلم بكلام يقنط الناس من رحمة الله، فيكون المؤمن وسطا، لا يقع في فعل المجترئين على الذنوب ولا أيضًا يؤيس الناس ويقطنهم، وكأن الله لا رحمة عنده.

❁ **قال المصنف**: «**وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ**».

يقول: والأمن أن يقع الإنسان فيما وقعت فيه المرجئة، أن يأمن عذاب الله ونقمته، ويستمر لا يعرف إلا أن الله غفور رحيم، ورؤوف كريم، لا تشددون على الناس، ويستمر في هذا، الوقوع في ذنوب آمنًا، كأن الرب عَزَّوَجَلَّ لم يحذره في كتابه من مغبة الذنوب وعواقبها، آمن من عقوبة الله، وعطفه اليأس من رحمة الله، وهذا يقع لبعض الناس إذا أسرف في الذنوب، ثم اهتدى، وتأمل ما فعل بوالديه من العقوق، وبالناس من المظالم، كثرة ما وقع منه من الفواحش، كثرة ما وقع منه من أكل الحرام والتعدي، وتضييع ما ضيع من الصلوات، وكثرة ما أفطر في رمضان، فبعضهم يكون عنده ردة فعل.

يقول: مع هذه الذنوب التي بلغت عنان السماء، ..... علي في مغفرة الله، وكلا الطريقين كلا الطريقين باطل، الأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ، واليأس من رحمته، كلاهما من الكبائر؛ لكن قوله هنا:

«يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ»، لا شك أن من أمن على طريقة العامة المعروفة هذه أنه لا يكفر، وهكذا من يأس اليأس المعتاد؛ لكن لعل مراده الأمن المطلق، وكأنه لا يكترث أصلا بأمر وعيد الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يبالي به، هذا الصنف كأنه لا يوجد في قلبه أدنى خوف من رب العالمين، والمسلم لا بُدّ من أن يوجد في قلبه ولو مقدار، وهو أصل الخوف، فإذا زال أصل الخوف ولم يوجد، هذا لا يكون الإنسان مسلما.

قد يضعف الخوف نعم؛ لكن لا يقول: أنا لا أخاف الله، هذا لا يمكن أن يكون مسلما، وعكسه الأمن، وعكسه اليائس، الذي يبلغ به يأسه إلى حد إساءة الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وأن الذنوب التي أسرفها لا تنالها رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنها من الكبر بحيث لا يمكن أن تقابلها مغفرة الله، هذا من سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ.

لكن الأصل: أنهم ليس أنهما ليس بكافرين، **أي**: هذا الموطن يحتاج إلى إعادة التفصيل، والأصل أن من وقع في اليأس، فإنه لم يقع في اليأس إلا من خوفه من الله، وهذا خطأ منه، فينبه ويقال له: اتق الله عَزَّوَجَلَّ، لا تجمع الشرين، أول عمرك في الفساد والشر، ثم آخر عمرك في اليأس من رحمة الله، يكفي الذنب الأول.

وينبه إلى هذا، والغالب: أنه حملة على عذاب الخوف من الله، فلا يقال: إنه يخرج من ملة الإسلام، وهكذا الآمن من رحمة الله، يقول: دعك من الغرور، وكثرة التركيز على نصوص متعلقة بالمغفرة والرحمة.

-**انتبه!!**- لمَ قال الله تعالى في هذه الذنوب، وما توعد أهلها، فالأصل أن الذي يقع في هذين الأمرين من عوام المسلمين أنه لا ينتقل من الملة؛ لكن لعل مراده القسم الأخير الذي يكون عنده نوع من الجرأة، وقلة المبالاة بالله أصلا، وصل به الأمن من رب العالمين لحد عدم المبالاة، وعدم الاكتراث أصلا بالله، هذا زال أمر الخوف من قلبه، وعكسه اليأس.

قوله: «وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ»، سبيل: أن يكون الإنسان بين الخوف والرجاء، كما ذكر عَزَّوَجَلَّ في شأن المؤمنين: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]، هذا هو، أن يكون الأصل الإنسان يكون بين الخوف والرجاء، لا يغلب هذا على هذا.

قال المصنف: «وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ».

هذا أول موطن ينكر في هذه الرسالة، وهو -عفا الله عنه- في هذا تماشى مع مقالة المرجئة، حيث حصر الكفر في الجحود، ولا شك أن هذا باطل، ولهذا يقول الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقا على هذا الموضع: هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين، إذا كان لا ينطق بهما، فإن كان ينطق بهما دخل الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود؛ لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك: طعنه في الإسلام، أو في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو باستهزائه بالله ورسوله، أو بكتابه، أو بشيء من شرعه، لقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، ومن ذلك عبادته الأصنام والأوثان، أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم، وطلب المدد والعون، ونحو ذلك، هذا يناقض قول: لا إله إلا الله؛ لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، هذا الموطن لا شك أنه مما ماش فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا الله عنه مقالة مرجئة الفقهاء؛ لأن المرجئة على ثلاث درجات:

- **الدرجة الأولى:** درجة مرجئة الفقهاء، وهم فقهاء الكوفة، حماد بن أبي سليمان، وتلميذه أبو حنيفة عفا الله عنهما، في موضوع الإيمان لا شك أنهما قد أخطأا، وقال: إن الإيمان هو القول والاعتقاد فقط، وأخرجا العمل عن حد الإيمان كما سيأتي -إن شاء الله- في كلام الطحاوي، وهؤلاء أقل المرجئة خطأ.

- **الدرجة الثانية:** هم الذين قالوا: إن الإيمان هو نطق اللسان فقط، وهم الكرامية، أتباع محمد بن كرام، وهؤلاء انقرض قولهم، وهو قول فاسد باطل حين يحصر الإيمان في نطق اللسان فقط.

القول الذي فشا في أهل البدع هو قول جهم بن صفوان، الذي جعل المعول على القلب وحده، وأخرج حتى نطق اللسان، وجعل الإيمان مجرد المعرفة، وهو الموجود للأسف الآن في المتكلمين، من الأشعرية والماتريدية؛ فإنه مرجئة، ويقولون بقول غلاة المرجئة أيضا، **أي**: يخالفون حتى أبو حنيفة في هذا؛ لأنهم يقولون: إن الإيمان هو مجرد التصديق، ويخرجون قول اللسان والعمل، فطوائف المرجئة جميعا اتفقت على إخراج العمل من الإيمان، وهذا باطل بلا شك.

وقد دل على دخول العمل في الإيمان نصوص كثيرة من القرآن ومن السنة، حتى قال تعالى في شأن

الصلاة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٤٣] وهو صلاتهم إلى بيت المقدس، فسمى الله تعالى الصلاة إيمانا فكيف لا تكون الصلاة إيمانا؟ يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطهور: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**» نصف الإيمان، فإذا كان نصف الإيمان كيف لا يكون من الإيمان؟! هو نصف الإيمان، هو نصف وليس من الإيمان، فكيف لا يكون الإيمان هو نصف الإيمان؟

وهكذا ما أطلقت النصوص على الأعمال من لفظ الإيمان: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا**» «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا**» في حديث وفد عبد القيس، لما أتوا يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَدَاءِ الخُمُسِ مِنَ المَغْنَمِ**»، فجعل هذه الأعمال من الإيمان، فكيف لا تكون من الإيمان؟ فكيف لا تكون الأعمال من الإيمان؟ وفي لفظ في البخاري، يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لما قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ؟**» يقول: ففسرها لهم، **أي**: فسر لهم الإيمان، ففسر الإيمان بالأعمال، فكيف لا تكون الأعمال من الإيمان؟

فلما أخرجوا الأعمال من الإيمان، وجاؤوا إلى موضع الكفر، قالوا لما كان الإيمان بهذه المثابة، إذن الأعمال كما أنها لا تؤثر في الإيمان لا تؤثر في الكفر، فانفتح باب شر كبير الحقيقة من هذا.

قوله: «**وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ**»؛ غير صحيح، هذا من المواطن التي قلنا إنها من القسم الثالث مما في الرسائل، موطن باطل الحقيقة؛ لأنه ماش فيه جماعة مرجئة الفقهاء في هذا عفا الله عنه، وهذا القول لا شك أنه ليس بصواب، ولأجل ذلك ذكرنا لكم كلام الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في أن مثل هذا القول قولا ليس بصواب، وأن الإنسان قد يخرج من الإيمان بقول يقوله، قال تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة:٧٤]، وقال تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة:٦٦] لأنهم استهزءوا، وهكذا من سب الله، أو سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا شك أنه يكفر.

ولا نقول: إنه لا يكفر إلا إذا تحققنا من أمر قلبه، هو كفر مجرد أن يقوله بلسانه، وغير مجبر وفي كامل عقله، هذا كافر لا شك في ذلك ظاهر وباطنة، قال شيخ الإسلام بإجماع أهل الفتوى، فلأجل هذا، هذه العبارة لا شك أنها عبارة ليست بصواب.

وإن كان مراد الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرد على الخوارج والمعتزلة، كما نبه الشارح؛ لكن لا يرد على

الخوارج والمعتزلة بطرف آخر أيضا، فيرد على الخوارج والمعتزلة في تكفيرهم صاحب الكبيرة؛ لكن بالطريقة السوية الشرعية، وليست بالطريقة التي تذهب إلى ضد ما قالوه، بحيث يتخذ قولٌ معاكسٌ على حساب الحقيقة الشرعية.

۞ **قال المصنف:** «وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ. وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ. وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالِفَةِ الْهَوَى، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَى».

هذا الموضع الثاني أيضًا الذي ينكر في هذه العقيدة، هو أنه عرف الإيمان بتعريف مرجئة الفقهاء، الذين يقولون: الإيمان هو الإقرار والتصديق فقط، الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، أين العمل؟ ما ذكره، وقد ذكر الإجماع على أن العمل من الإيمان أئمة كبار، فقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «الأم» فيما ذكره اللالكائي ونقله عنه بالسند، ونقله شيخ الإسلام، قال: «ثم كان الإجماع من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتابعين وأتباعهم، ومن لقينا» لأنه لقي من بعدهم «أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزي واحدٌ منها عن الآخر»، فلا يصح أن تقول: الإيمان قول فقط، أو اعتقاد فقط، أو عمل فقط، لا يجزي واحد منها عن الآخر، لا بُدّ منها مجتمعة.

ونقل الإجماع على هذا البخاري، والإمام أحمد، وهو من شعارات أهل السنة: أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، فالقول بأنه هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، الجنان: **أي**: القلب، لا شك أن هذه مقولات مرجئة الفقهاء.

لهذا: علّق الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «هذا التعريف به نظر وقصور، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وقد ذكر الشارح ابن أبا العز جملة منها فراجعها إن شئت، وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة، وليس الخلاف بينه وبين أهل السنة فيه لفظيا، بل هو لفظي ومعنوي، ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أهل السنة»، فهذا الموطن الثاني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الإيمان، وأهله في أصله سواء، كثير من الناس لا يدري بمدلول العبارة، وهي عبارة أيضا، العبارة الثالثة الباطلة.

قوله: «**وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ**» هذا فيه نظر، بل هو باطل، فليس الإيمان فيه سواء بل هم متفاوتون، تفاوتا عظيما، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة -رضي الله عنهم- وأرضاهم- مثل إيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمنين، كإيمان الفاسقين، وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم بالله، وأسمائه وصفاته، وما شرع لعباده، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافا للمرجئة ولمن قال بقولهم والله المستعان.

إذن هذا الموطن الثاني، القول: بأن «**وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ**»، بل متفاوتون، أين إيمان محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقينه، من إيمان الواحد من آحاد المؤمنين، بل أين إيمان أبي بكر من إيمان بقية الأمة؟

فالقول: بأن أهله في أصله سواء خطأ، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»، والعلم بالقلب، فجعل فيه صيغة التفضيل، أفعل، أعلم، أنه أعلم بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن يقول إن إيمان جبريل وميكائيل والأنبياء، مثل إيمان آحاد المؤمنين، فهذا القول عجيب -سبحان الله- أن ينتشر في أحد من الفقهاء عفا الله عنهم، قول لا شك أنه باطل بمجرد -سبحان الله- أن يتأمله الإنسان يعرف بطلانه، هل يجرؤ أحد: أن يقول: أنا وأبو بكر سواء في الإيمان؟ فضلا عن أن يقول: أنا ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء؟ لا في القلب، لا في العمل، لا في كل شيء.

فهذه المقالة -سبحان الله- يستعجب الإنسان كيف جاءت، وانتشرت في هؤلاء الفقهاء -عفا الله تعالى عنهم- مع صريح بطلانها.

❍ **فالحاصل:** أن هذا القول ليس بصواب، وأن المؤمنين يتفاوتون تفاوتا عظيما، وقد ثبت في النصوص، ما يدل على هذا التفاوت العظيم، حتى إن الله تعالى يأذن في الآخرة بإخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، هذا الشخص الذي يخرج من النار من أهل الكبائر، بعد أن يدخل فيها وليس بقلبه إلا مثقال ذرة، هل الذي في قلبه مثل الذي في قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ معاذ الله، بل هذا الشخص الذي ليس في قلبه من الإيمان إلا مثقال ذرة، ليس مثل بقية آحاد المؤمنين.

وقد ثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أنه قال: «**رَأَيْتَ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ**» **أي**: في المنام، ورؤيا الأنبياء وحي، ليست مثل رؤيا الناس العاديين، فرأيت، **أي**: رأى حال الناس، «**رَأَيْتُ مِنْهُم مَنْ فِي لِبَاسِهِ مَنْ يَبْلُغ**

الثُدي»، جمع: الثَدي، «**وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ. وَمَرَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ يَجُرُّهُ**»، قالوا: ما أَوَّلْت يا ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الدِّين**»، يتفاوت الناس فيه، هل إيمان عمر، هذا الذي يجر الثوب الدين؟ اللباس في المنام خير؛ لأن اللباس يعبر بالدين، قوة الدين، لذلك رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمر ليس عليه ثوب عاديًّا، بل عليه ثوب يجره من سبوغ الدين عند عمر، وفي نفس الوقت رأوا ناسا من المسلمين ما عنده من الإيمان إلا الشيء القليل، منها ما يبلغ السدي الثدي، جمع الثدي، ومنها: ما هو دون ذلك، والباقي عاري، **أي**: والعياذ بالله لضعف دينهم، فهل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل هؤلاء؟ أو هؤلاء مثل رسول الله؟ مقالة -سبحان الله- إذا تأملها العاقل يتعجب كيف مضت على هؤلاء عفا الله عنهم؟ وإلا فمن المعلوم أن الإنسان لو قيل له: إنك مثل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاقشعر بدنه، يحدث نفسه: أنا مثل رسول الله، ألا تستحي تقول لي مثل هذا الكلام، والله لا أقول: إني مثل أدنى الإعراب في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتأتي تشبهني بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة؟ ألا تستحي؟ كل أحد يقول هذا الكلام.

مقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإيمان مقام أعلى وأرسخ من الجبال، فكيف نأتي نقول: نحن مثل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإيمان؟

ولهذا قال ابن أبا مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم من يقول إيماني مثل إيمان جبريل وميكائيل»، **أي**: الصحابة، لا يقولون مثل مقولة المرجئة، فمقولة المرجئة، تقول: إيماننا مثل إيمان جبريل وميكائيل، يقول: أدركت ثلاثين من هؤلاء الصحابة ما في ما أحد يجرؤ على هذا وهم صحابة.

فالذي يقول إيماني مثل إيمان جبريل وميكائيل مثل إيمان محمد وإبراهيم، يتعجب الإنسان كيف تفشوا هذه المقالة؟ لكن يا إخوة -**أعاذنا الله من الفتن**- مقالة الأرجاء أصلها، خرجت لضرب مقالة الخوارج، ولم يبلغ لم يبزغ الإرجاء إلا بعد فتنة ابن الأشعث، لما خرج على الحجاج، فكانت ردة فعل، فلما بالغ الخوارج في الذنوب، وكفروا صاحب الكبيرة، وبالغوا في أمر الواجبات، وأخرجوا من الإيمان من تخلى عن واجب، تعرف الواجبات ليست سواء، فما كل واجب يخرج به الإنسان من الملة، فالصلاة على الصحيح فقط، هي التي إذا تركها خرج من الملة، هم عندهم إذا ترك الواجب كفر، فجاءت المرجئة وخففت، فقالت: العمل أصلا ليس من الإيمان، بحيث لو ترك العمل بالكلية ما خرج من الإسلام.

فلا يعالج الباطل بباطل، الباطل يعالج بالحق، وكون الخوارج يبالغون هذه المبالغة ما يأتي أحد يقابل طريقة الخوارج، بأن يقابل باطلهم بباطل مثله، وإنما يقابل الباطل بالحق، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء:١٨] ما نحتاج إلى أتينا لنرد على الباطل نستورد باطلا نرد به، هذا غير صحيح هذا الكلام، في الحق ما يكفي، فأصل مقالة الإرجاء، أتت للتخفيف من قالة الخوارج، فقابل الخوارج مثل هذا فقالوا أصلا العمل لا يدخل في الإيمان.

لكن يجب أن يقال: إن مرجئة الفقهاء -عفا الله عنهم- لا يسهلون من أمر العمل، يقول: نحن نقول: إنه ليس داخلا في حد الإيمان؛ لكن لا نسهل فيه، ولا نقول: إن الإنسان مثل ما تقدم: لا يضر مع الإيمان معصية، ونقول: إن أصحاب الكبائر معرضون للوعيد والدخول في النار، ونقول: إن الأعمال واجبة، ويعاقب من تركها؛ لكن نقول: أصل الأعمال لا تدخل في حد الإيمان.

فقال أهل السنة: كيف تقولون لا تدخل في حد الإيمان، وفي تعريف الإيمان، وقد جاءت النصوص بتسمية العمل إيمانا، كما تقدم في النصوص السابقة، أردت مقابلة الخوارج؛ لكن ليست هذه طريقة، وليس هذا علاجا للباطل، ولذلك تلاحظ أن هذا الباطل إلى الآن، وهذا الباطل موجود للأسف الشديد، كل ما بلية من بلايا الخوارج قابلهم أناس بنفس طريقة المرجئة.

لا يعالج منهج الخوارج إلا بطريقة أهل السنة، لا يعالج بالتخفيف من أمر الأعمال، أو بالتخفيف من أمر الذنوب، غلط هذا، فهذه طريقة مرجئة، وهذه طريقة خوارج، وأهل السنة يبرئون من طريقة الخوارج والمرجئة معا، وكلاهما طرفا نقيض، وكلاهما شر على الأمة؛ لكن أن يعالج الباطل بباطل هذا غير صحيح.

ولهذا ما خرجت مقالة الأرجاء كما روى عبد الله بن أحمد في «السنة» وغيره، إلا بعد فتنة بالأشعث، والعجيب -سبحان الله- أن بعض من خرجوا مع ابن الأشعث انقلبوا مرجئة.

فلاحظ -سبحان الله- كيف يصير الإنسان خارجي، ثم يعود ليترك منهج الخوارج، ويكون مرجئا، ويتركون المنهج الوسط.

❍ **فالحاصل**: أن مثل هذه المقالات تدلك على أن أمر الاعتقاد يسأل العبد ربه أن يثبته بالقول الثابت، إذا رأيت مثل مرجئة الفقهاء، وقد تعجب فقهاء ويسمون مرجئة فقهاء، مثل فقهاء الكوفة مثل

أبي حنيفة، معروف عفا الله عنه بالفقه، وهذه الزلة تقريبا الوحيدة عنده، وإلا فبقيت أبواب الإيمان عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبقية أبواب الاعتقاد، مثل الأسماء والصفات والصحابة هو على طريقة السلف فيها؛ لكن جاءت هذه البلية، بلية الإرجاء؛ لكن لا يعالج الباطل بباطل.

ولهذا أنكر أهل السنة على الخوارج وعلى المرجئة معا، وردوا على طريقة الطرفين، يقال: إن هذا الأسلوب أسلوب خاطئ، وإن علاج الباطل لا يكون أبدا بعلاج الباطل بباطل مثله، لأجل ذلك ما قاله هنا -عفا الله عنه- كما سمعت بتعقب الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتعقبه عدد، ومنهم الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في أن مثل هذا الكلام ليس بصواب، وأن القول بأن أهل الإيمان في أصله سواء هذا غير صحيح، قضية التفاضل بالخشية والتقى ومخالفة الهوى نعم؛ لكن لا يعني ذلك أنهم في الإيمان سواء، بل هم متفاوتون غاية التفاوت، ولا يعني ذلك أن الإيمان قول واعتقاد فقط، بل قول واعتقاد وعمل، هذا الذي يجب أن يجهر به، وهو من المآخذ على أبي جعفر غفر الله له وعفا عنه.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد[1].

(١) نهاية الدرس الرابع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

قال المصنف: «وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كله حَقٌّ. والإيمان واحد، وَأَهْلُه فِي أَصْلِه سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِيقَة وَمُخَالَفَة الْهَوَى، وَمُلَازِمَة الأولى. وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ. وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ».

قوله: «وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كله حَقٌّ»، يذكر الشارح أن مراده؛ الرد على الجهمية والمعطلة من المعتزلة والرافضة، وغيرهم من قالوا إن الأخبار **قسمان**:

- **القسم الأول:** ما هو متواتر.
- **القسم الثاني:** ما هو آحاد.

فالمتواتر عندهم: هو محل القبول دون الآحاد.

وبعضهم يقبل الآحاد في غير العقيدة، ولا يقبل الآحاد إلا في مسائل الأحكام ونحو ذلك.

كل هذا باطل، ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم يفرقون هذا التفريق بتاتا، إنما المعول في ثبوت الخبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذا قِيل: إنَّ لا تثبت الحجة في المسائل الاعتقادية، إلا بالمتواتر؛ لقيل: إنَّه لم تقم الحجة على الفرس والروم.

فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبعث الرجل الواحد بالخطاب، كالخطاب الذي أرسله إلى هِرَقْل وإلى كِسرى، فإن يبعث به رجلًا واحدًا، فلو قيل: إنها لا تقوم الحجة إلا بالمتواتر لقيل: إنها ما قامت؛ لأن هذا الذي حمل الخطاب واحد.

ثم كيف يقال: إن المتواتر لا يُعمل به في الأمور التي يُعبَّر عنها بالتي تفيد العلم اليقينية المقطوعة!

وقد ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين حُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ مرَّ أحد الصحابة رضي الله عنهم على أهل قُباء وهم يصلون؛ فقال: **أشهد لصليت مع رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **هذه الصلاة إلى الكعبة**، فاستدار الإمام؛ لأن قبلة أهل المدينة إلى جهة الجنوب؛ وبيت المقدس إلى جهة الشمال بالنسبة للمدينة، فاستدار الإمام إلى جهة الجنوب؛ وصار المأمومون خلفه، في نفس الصلاة، فصلاةٌ أُدِّيت أولها إلى بيت المقدس، وآخرها إلى الكعبة، بخبر واحد.

وقد يقول قائل: هذا من الأحكام، لا ليس هذا من الأحكام، هذه عقيدة، أن القبلة هي الكعبة عقيدة.

لو قال أحد: إن الكعبة ليست هي القبلة، لَرْتَدّ عند جميع المسلمين.

فبعض مسائل الأحكام هي عقيدة، مثل: (وجوب الصلاة، وجوب الصوم)، اعتقاد.

❍ **فالحاصل**: أن هؤلاء رضي الله عنهم عملوا بخبر واحدٍ.

ومن أحسن من أشبع هذا المقام الإمام الجليل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في أحسن كتاب في أصول الفقه على الإطلاق، وهو (كتاب الرسالة)؛ هذا كتاب عظيم جدا، وقد قَعَّدَ القواعد الأصوليَّة الحقيقية، وتكلم عن خبر الآحاد وبين حجيته، وأن القول: بأنه يُقبل في مواضع دون مواضع، في أحكام دون عقائد أن هذا قول المعتزلة وأضرابهم، أن يعود إلى مسألة عندهم، ما الذي يفيد القطع؟ وما الذي يفيد الظن؟ إلى غير ذلك من تُرَّهاتهم.

قوله: «**وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ**»؛ لأن الله **يقول**: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فأولياء الله؛ ولاية الله عَزَّوَجَلَّ لجميع المؤمنين؛ لكن يتفاوتون في مقدار هذه الولاية كما يتفاوتون في الإيمان، (فكل مؤمن تقي فهو لله ولي).

كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، فجميع المؤمنين أولياء لله عَزَّوَجَلَّ، كما أن الكفار أعداء لله؛ لكن يتفاوت المؤمنون في مقدار هذه الولاية بمقدار تفاوتهم في الإيمان.

قوله: «**وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَطْوَعُهُمْ**»، أكرم المؤمنين عند الله عَزَّوَجَلَّ هو المطيع، أكثرهم طاعة، فهؤلاء

المطيعون لله تعالى هم أكرم على الله، **كما قال تعالى**: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] .

قوله: «أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ»، كلما كان الإنسان أكثر طاعة لله أطوع؛ **أي**: أكثر طاعة.

قوله: «وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ»؛ **أي**: أنه أكثر اتباعًا للقرآن، فبقدر ذلك يكون مقداره عند الله.

ثم عاد فتكلم عن أركان الإيمان هنا أيضًا مع أنَّ كل ما تقدم؛ داخل في أركان الإيمان.

۞ **قال المصنف**: «وَالْإِيمَانُ : هُوَ الْإِيمَانُ بالله، وَمَلَائِكَتِه، وَكُتُبِه، وَرُسُلِه، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ، خَيْرِه وَشَرِّه، وَحُلْوِه وَمُرِّه، مِنَ الله تعالى. وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كله، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ على مَا جَاءُوا به. وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّة مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا الله عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ، وَهُمْ في مَشِيئَتِه وَحُكْمِه، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِه، كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ في كِتَابِه : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] ».

قوله: «وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بالله، وَمَلَائِكَتِه، وَكُتُبِه، وَرُسُلِه، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ، خَيْرِه وَشَرِّه، وَحُلْوِه وَمُرِّه»، قد يقول قائل: أن الأحسن أن يُبدأ هذا في بداية العقيدة، ثم يُرتب الكلام على حسب ما ورد في حديث جبريل هنا؛ **أي**: يتكلم عن (الإيمان بالله) حتى يُنْتَهى منه تماما، ثم يتكلم عن (الإيمان بالملائكة، ثم الكتب، ثم الرسل)؛ لكنه لم يكن يقصد الترتيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: «وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كله، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ على مَا جَاءُوا به»، هذا هو الواجب، أن نؤمن بجميع الرسل، من علمنا، ومن لم نعلم، الذي علمنا نؤمن به بالتفصيل، نعرف اسمه، ونعرف أنه بعث إلى قوم، وأنه قال لهم وردُّوا عليه لأن الله فصل خبره.

الذين لم نعلمهم ممن قال الله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨] ، **نؤمن بهم إجمالا**، تماما كالكتب الكتب نؤمن بما علمنا من أسمائها، (كالتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، والصحف: صحف إبراهيم وموسى)، هذه نؤمن بها، بأسمائها.

وما أنزل الله من كتاب لم نعلمه؛ فإنَّا **نؤمن به إجمالا**، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى:١٥]، أيّ كتاب نحن نؤمن به، علمنا اسمه أو لم نعلمه، نؤمن بكل نبي علمنا اسمه أو لم نعلمه، وكذلك الملائكة؛ نؤمن بجميع الملائكة من علمنا من أسمائهم من ذكر الله تعالى في

القرآن (كجبريل، وميكال)، ومن لم نعلم **نؤمن به إجمالا**.

فهذه المسألة المتعلقة بالإيمان بالأسماء، (أسماء الكتب، أسماء الرسل، أسماء الملائكة)، **تكون إجماليةً وتفصيلية**:

❍ **التفصيل**: فيما ذكر الله، حتى لو سألتك الآن عن نوح، قلت: نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، دعا قومه ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] ، لأن الله **فصّل**.

بقية الرسل الذي لم يقص الله تعالى خبرهم؛ **نؤمن بهم إجمالا**، وهكذا الملائكة، وهكذا الكتب.

قوله: «**وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِه**» في الإيمان، هذا هو المعنى.

وبعض العامة يقول: ما دام الله، يقول: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥] ؛ كيف نقول إنَّ محمدًا ﷺ أفضل الرسل؟ هذا ليس تفريقًا؛ هذا: تفضيل.

قال تعالى: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [البقرة:٢٥٣] التفضيل موجود بنص القرآن.

❍ **لكن التفريق بين الرسل**: بأن يؤمن ببعض الرسل، ويكفر ببعض، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]، هذا هو التفريق بين الرسل أن يؤمن ببعضٍ ويكفر ببعض.

❍ **أما التفضيل**: فبنص القرآن هو موجود.

قوله: «**وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ على مَا جَاءُوا به**»، نصدق أن ما جاء به موسى حق؛ لأنه وحي الله.

وما جاء به (إبراهيم، وموسى، وشعيب، وهود، وصالح) كلهم جاءوا بالحق، في وقتهم من لزم ما جاءت به الرسل ينجو ويكون من أهل الجنة، كل من لزم ما جاءت به الرسل؛ لأنهم يأتون بالحق، وهو يرسل الرسل بالحق.

لكن لما بعث الله محمد ﷺ وجب على الإنس والجن أجمعين ألا يتبعوا أحدًا سوى محمد ﷺ، فمن كفر بمحمدٍ ﷺ؛ وقال إني مستمسك برسالة نبي قبله فقد كفر

بذلك النبي، قبل كفره بمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أخذ العهد على الأنبياء؛ أن يأخذوا العهد على أقوامهم؛ إنْ بعث الله محمدًا أن يتبعوه، فمن رد هذا العام فقد كفر بمحمدٍ وكفر بالنبي الذي أخذ عليه العهد، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١] .

فكان كما ذكر ابن عباس، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يؤخذ عليهم من قبل أنبيائهم الإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بعث، ولهذا الصادقون في الاستمساك بذاك العهد (كعبد الله بن سلام، والنجاشي)، وأمثالهم، لما بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنوا به استمساكًا بذاك العهد.

والكاذبون منهم الذين ردُّوا رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع علمهم بها علم اليقين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فإنهم يكونوا قد كفروا بمحمد وبالنبي الذي أخذ عليهم العهد.

قوله: «**وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ**»، قد يُفهم من هذه العبارة أنَّ هذا خاص بأهل الكبائر من هذه الأمة فقط، **لقوله**: «**وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**».

والذي يظهر والله أعلم؛ العموم؛ لأن النار قضى الله ألا يمكث فيها إلا أهل الكفر المحض، فالذين قبل هذه الأمة ممن كانوا على اتباع نبيهم، ووقع منهم ما وقع من الكبائر، وأُدخلوا النار، لا شك أنهم يخرجون من النار؛ كأهل الكبائر في هذه الأمة لا فرق؛ لأن النار لا يمكث فيها أبد الآباد إلا أهل الكفر، الذين حبسهم القرآن كما في الحديث، هؤلاء هم الذين يُذْبَحُ الموت ويقال: «**يَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**»، وهم الذين يمكثون فيها، أبد الآباد.

أما من كانوا من أهل الكبائر سواء في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو في غيره من الأمم السابقة فإنهم موحدون، وأهل التوحيد النار ليست دارهم، الأصل أن النار ليست دار أهل التوحيد، قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] .

فإذا دخل أهل التوحيد النار؛ فإنه دخول مؤقت بلا شك، لأنها ليست دارهم أصلا، فيمكثون فيها ما شاء الله تعالى أن يمكثوا، ثم إنهم يخرجون منها بعد الشفاعة التي يأذن بها، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فلا يبقى في النار إلا أهل الكفر.

قوله: «وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ»، الحقيقة قد لا يلزم؛ **أي**: قد يكون مستحضر الكلام في صاحب الكبيرة من أمة محمد، ولا يلزم أن يكون مُريدًا؛ أنَّ أهل الكبائر من غير هذه الأمة يخلدون في النار، لأن هذا كلام باطل الحقيقة، لا يمكن أن يقوله الطحاوي.

ولهذا: كان ينبغي أن لا يوضع هذا القيد، وأن يقال وأهل الكبائر عمومًا سواء من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو من كانوا من أتباع الأنبياء السابقين، لأنهم موحدون جميعا، توحيد ودين جميع الأنبياء.

قوله: «وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ»، قطعًا، لأنَّ صاحب الكبيرةِ إذا تاب جبَّت توبته كبيرته، فلا يكون من أهل الكبائر، يلقى الله من غير هذه الكبائر، كما أن الكافر إذا أسلم لا يلقى الله بكفره، وإنما يلقى الله تعالى بما خُتم له.

قوله: «بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ، غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ»؛ كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]، فبين تعالى أن الذي لا يُغفر هو ذنب الشرك الأكبر، فإنَّ الله لا يغفره مطلقًا، ولا يمكن أن يعفو عن هؤلاء، فهم في النار أبد الآباد﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة:٧٢] .

أما من كان عنده ذنب دون الشرك، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء:٤٨] .

فحرف «ما» يفيد العموم؛ **أي**: كل ما دون الشرك، كل ما سوى الشرك؛ فإنه داخل في قوله: ﴿مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء:٤٨] من أنواع الكبائر والمقصود الذي ذكرناه سابقا، من أنواع الكبائر التي هي الذنوب المعروفة، من (شرب خمر أو فواحش) عياذًا بالله، أو نحو ذلك من الكبائر التي هي الجرائم، فهذه هي التي تكون تحت مشيئة الله.

أما من ترك الصلاة مثلا فإنه في الحقيقة يُلحق بالكفار بنص الحديث، وهو الذي عليه الصحابة رضي الله عنهم كما ذكرنا، ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨] .

۞ فيكون أهل الكبائر في هذه الحالة بين أحد أمرين:

❍ **الأمر الأول:** «إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ»؛ «بِعَدْلِه»؛ فإن عذبهم فبعدلٍ منه؛ «ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِه وَشَفَاعَة الشَّافِعِينَ»، «ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إلى جَنَّتِه».

❍ **الأمر الثاني:** وإن شاء تلقَّاهم تعالى برحمته ولم يدخلهم النار أصلًا.

هل يمكن أن يلقى الله تعالى أحد بكبيرة ولا يدخله النار؟

نعم؛ وهذا راجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يمكن أن يتدخل بين الله تعالى وبين عباده، وقد ثبت في الحديث: «**أَنَّ بَغِيًّا مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَسْقَتْ كَلْبًا، فَغَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهَا**»، فأمور المغفرة هذه في قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١] هذا راجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، من شاء غفر له، ومن شاء عذبه.

قوله: «ذَلِكَ بِأَنَّ الله تعالى مَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِه، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِه»؛ **أي:** أنَّ الله تعالى هو ولي المؤمنين، ولم يجعل المؤمنين في الدنيا وفي الأخرى مثل أهل الكفر؛ بل يتفاوتون في أحكامهم في الدنيا وفي الآخرة.

قوله: «اللَّهُمَّ يَا وَلِيَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِه، ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ»، **وفي لفظ نسخة أخرى:** «مَسِّكْنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ»؛ **أي:** أنه يسأل الله تعالى أن يُثَبِّتَهُ على الإسلام؛ حتى يلقاه بالإسلام.

۞ قال المصنف: «وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَة، وعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ. وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا. وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إلى الله تعالى».

تكلّم هنا عن الصلاة خلف كل برٍ وفاجر.

المسلمون صنفان:

❍ **الصنف الأول:** أبرار متقون.

❍ **الصنف الثاني:** وهم مسلمون يكون عندهم معاصي، وهم متفاوتون أيضًا في هذه المعاصي، بعضهم يصل في معاصيه إلى أن يكون منهم الفجور.

وجميعهم من أهل القبلة؛ **أي:** أنهم جميعا مسلمون، وهم: «مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَة»؛ لأنهم جميعا يستقبلون

الكعبة، وهذا من دلائل أن الصلاة أمرها عظيم.

فسُمِّيَ المسلمون بأهل الإسلام، وسُمُّوا بأهل القبلة؛ لأن المسلم يصلي وسُمُّوا بأهل الصلاة.

إذا قيل: أهل الصلاة فالمقصود أهل الإسلام؛ لأن المسلم يصلي.

واحتج من رأى كفر تارك الصلاة؛ ومن أحسن من تكلم فيها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في (كتاب الإيمان)** قال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢-٤٣]، فهؤلاء ما كانوا يسجدون في الدنيا، ما كانوا يصلون، فلذلك في القيامة إذا كشف الرب عن ساقه عجزوا عن أن يسجدوا.

وكذلك أهل النفاق الذين كانوا يسجدون نفاقا يجعل الله ظهر الواحد منهم طبقا واحدا، لا يستطيع السجود.

وقال -أيضًا- رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن من الأدلة على كفر تارك الصلاة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر: «**أَنَّهُ يَعْرِفُ أُمَّتَهُ بِكَوْنِهِمْ غُرًّا مُحَجَّلِينَ**»، والغرَّ والتَّحجيل من آثار الوضوء.

والذي لا يُصلي لا يتوضأ.

قال: فدل على أنهم ليسوا من أمته، إلى غير ذلك من النصوص والدلالات التي ذكرها رحمة الله تعالى عليه، وأجاب عن الدليل الذي يحتجون به كثيرًا في عدم كفر تارك الصلاة وبين وجهه، وبين الفرق بين من يترك الصلاة، وبين من لا يحافظ عليها، من الحديث الذي ورد: «**أَنَّ مَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَى الصَّلَاةِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا وَلَا بُرْهَانًا، وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ**»، قال: فرق هذا لم يحافظ، ونحن لا نتكلم في الذي لا يحافظ، وإنما نتكلم في التارك، يقول: التارك تركًا كليًّا، هذا هو الكلام الذي فيه.

أما من لم يحافظ؛ فهو يصلي في بعض الأحيان، ولهذا الصحيح: أنه لا يكفر، وإن كان قد فعل أمرًا عظيمًا جدًا؛ لكن لا يكفر لأنه يصلي في بعض الأحيان، ولم يترك بالكليَّة، والكلام على التارك تمامًا، الذي يُدعى إلى السجود فلا يسجد في الدنيا، بالتالي لا يسجد في الآخرة وأفاض في هذا رحمة الله تعالى عليه. **قوله:** «**وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ**»؛ **أي:** أنك إذا صليت خلف إمام، هذا الإمام بر وصالح؛

مثل عمر بن عبد العزيز.

وقد تصلي خلف إمامٍ فاجر؛ كالحجاج ابن يوسف، يقول: نصلي خلفهم؛ لأن الحجاج وإن كان مبيرًا وظالمًا وفاجرًا إلا أنه مسلم، فنصلي خلفه وإن كان فاجرًا، وهذا الذي فعله الصحابة، فكان يصلي خلفه ابن عمر، ويصلي خلفه أنس رضي الله عنهم وأرضاهم.

تبقى مسألة: الصلاة خلف الفاسق:

إذا كان الإمام: إمام الصلاة وليّ أمر؛ يختلف وضعه؛ لأن عدم الصلاة خلفه كما سيأتي قد تؤدي إلى فِتَن.

لكن إذا كان الإمام يظهر عليه الفسق؛ وهو من أئمة المساجد، هل يُصَلَّى خلفه؟

الجواب: الأصل؛ أن لا يُمَكَّنَ من إمامة الصلاة هذا هو الأصل؛ لأن إمامة الصلاة أمرها عظيم، فالذي كان يصلي بالمسلمين زمن النبوة هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكون الإنسان يتقدم ليصلي في مقام كان يصلي فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من شُرَّابِ الخمور أو من أهل الفواحش لا شك أن هذا لا يجوز.

واختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في **حكم الصلاة خلفه**:

فمنهم من يرى أن الصلاة خلفه لا تجوز، وهي رواية عن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنهم من يرى أنه من حيث كونه مسلما فإنَّ الصلاة خلفه مجزئة، وقالوا إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُصَلُّونَ بِكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»، فيكون غِبُّ جُرْمِهِ هذا عليه، وإن كان الحديث هذا قد يحمل على الأئمة من الحكام.

قوله: «**وعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ**»؛ **أي**: نصلي على من مات من أهل القبلة البر منهم والفاجر.

فلو مات أحد من أهل الفسق والفجور؛ لكن معلومٌ أنه مسلم، هل يُصلى عليه؟

الجواب: لا يجوز أن تُترك الصلاة عليه أصلًا، فلو قيل: هذا الشخص الفاسق اتركوه، يُرمى في المقبرة لا يصلى عليه؛ لا يحل هذا مطلقا، لا بُدّ أن يُصلى عليه.

لكن هناك أصناف، ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك الصلاة عليهم من باب الزجر لغيرهم؛ لأن

الميت لا يُزجر؛ إنما يُزجر غيره، كالذي **أوتي به النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وقد انتحر، فترك الصلاة عليه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن هل صلى عليه الناس؟

نعم، صُلِّيَ عليه، فلا يترك من الصلاة نهائيا.

لكن إذا كان هذا الشخص متظاهرًا بفسق، فلا بد أن نصلى عليه كما قلنا، لكن في بعض الأحوال يَترك الإمام وأهل العلم الصلاة عليه، ويصلي عليه غيرهم من باب زجر أمثاله، لأن الميت ما يزجر، فقد انتهى وضعه، إنما الزجر لغيره، حتى يقول هذا المتجرِّئ على الفسق والفجور؛ الآن أهل الخير وأهل الفضل، إذا جاء أشد حالاتي إذا مت ذاك اليوم سيتركون الصلاة عليّ، والله لأتركنَّ هذا الفسق، أو على الأقل اختفى به، ما أجهر به؛ لأنه لا تترك الصلاة إلا شخصٍ قد استعلم، فأقل أحواله هذا، وهذه الفائدة من ترك الصلاة عليه؛ لكن أن تُترك الصلاة عليه من قبل الجميع لا يجوز هذا، فلأجل ذلك ذكر أمر الصلاة على هؤلاء أبرارًا كانوا أو فجارًا.

قوله: «**وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا**»؛ **أي**: لا نُنزل أحدًا من المحسنين جنة؛ ونقول: هذا من أهل الجنة، كما عبر بعض الجهال، يقول: هذه المرأة الطيبة الصالحة هذه ماتت، هي من أهل الجنة، وهذا الرجل الخير الصالح كبير السن، هذا الطيب المحسن، باني المساجد كافل الأيتام، هذا من أهل الجنة ما يجوز.

لا تُنْزِل أحدًا الجنة؛ إلا إذا شهد له النص، وهكذا النار، لا تُنْزِل أحدًا النار؛ إلا إذا شهد له النص؛ لكن إجمالًا تشهد لعموم المؤمنين؛ لأنه إذا لقوا الله بإيمانهم؛ فإنَّ الجنة ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣] .

وأهل المعاصي يُخاف عليهم، وقد ثبتت النصوص لأن أصحاب الربا في النار، وثبتت النصوص بأن قاتل نفسه في النار، لكن هذا المحدد الذي انتحر لا تستطيع أن تنزله النار، فعندما يأتي نص عام فيمن انتحر، ثم ينتحر إنسان ليس لك أن تنزل النص عليه؛ لأن الله تعالى قد يتلقاه برحمته لأنه من أصحاب الكبائر في نهاية المطاف.

وجاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ الطُّفَيْلَ الدَّوْسِيَّ** رضي الله عنه **هَاجَرَ إِلَى النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ فَمَرِضَ فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى**

مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، صحيح أن الانتحار أمر عظيم؛ لكن قابله الهجرة ويدل على أنَّ أجر الهجرة عظيم، وأنَّ أجر الصحبة كبير، قد تُكفَّر معه كبائر عظيمة، وإلا فصاحب الكبيرة فيه الوعيد الشديد: «**أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ**».

«**فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ**»، المغفرة حصلت لك؛ لكن هذا الذي أفسدته أنت لا نصلحه، لا تزال المسألة رؤيا إلى الآن، «**فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**». الحديث في صحيح مسلم.

فدل على أن يمكن أن يُغْفَرَ له، فلا تنزل أنت النص، على من انتحر، على من مات وأنت تعلم أنه يشرب الخمر، على من مات وهو من أصحاب الربا، لا تقل هذا الشخص.

قال تعالى في أصحاب الربا: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] وهذا مات مرابيًا فهو من أهل النار ما يجوز، هذا نص عام، والحالة المعينة الله تعالى أعلم بها لاحتمال أن يدخل في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] .

قوله: «**وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ**»؛ هذا هو الأصل؛ من أظهر الإسلام فأنا نستصحب أنه مسلم، ولا نشهد بأن من المشركين، ولا أنه من المرتدين الكفار، ولا بأنه من المنافقين؛ إلا إذا ظهر شيء واضح، كأن يظهر منه الشرك الأكبر، أو يظهر من فلتات لسانه مقالة تدل على كفره، أو يفعل فعلًا من أفعال الكفار، عند ذلك نشهد عليه، وما سوى ذلك نَذَرُ سرائرهم إلى الله.

لا شك، أنه يوجد في المسلمين منذ زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الآن، وما بعد الآن منافقون كفار في وسطهم قطعًا، بلا أدنى تردد، بعضهم جواسيس لدول، بعضهم منافقون في الداخل ملاحدة، الله أعلم بأحوال عباده، وهو المطلع على سرائرهم، وهو الذي إليه مآلهم؛ لكن ليس لك أن تشهد إلا بما ظهر لك، الظاهر لك هو هذا، قد تظهر على بعض الناس أمور من الريبة، تُوجِد شيئا من البغض لوضعه وحاله؛ لكن لا يُشهد لا يُقطع، حتى يظهر منه أمارات معينة، فإذا ظهر منه الشيء المؤكد شُهِدَ عليه به من كفرٍ أو شرك.

أما ما سواه فالأصل أن تُترك سرائر، وهذا فيه حماية كبرى للدماء في الإسلام، لولا أنَّ الله حكم بهذا الحكم لكان كل شخص يمكن أن يعدو على أحد، أو يقتل الحاكم أناسًا؛ يقول: أنا أعرف منهم الكفر، أنتم لا تدرون لكن أنا متأكد من أنهم كفار، كيف عرفت؟ ما لكم أنا أفهم! لا ليس لك هذا، لو يبلغ عددهم ما شاء الله ليس لك أن تقتل أحدًا أو تعامل أحدًا معاملةً على أنه كافر إلا إذا ظهر منه الكفر، قولًا أو عملًا، ما دامت المسألة سرائر بينه وبين الله، فالله هو الذي يتولى سرائر عباده.

❁ **قال المصنف:** «**وَلَا نَرَى السَّيْفَ على أَحَدٍ مِنْ أُمَّة مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ**».

قوله: «**السَّيْفُ**»؛ لا شك أنه مرفوع على الكفار؛ والأصل: أنْ لا تتقاتل أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ الأصل: أنَّ الجهاد للكفار، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: في حديث بريدة: «**اغْزُوا بِسْمِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ**»؛ هذا الأصل.

❍ **والأصل:** أن السيف لا يكون بين المسلمين مطلقًا، فلا يرفعُ مسلمٌ على مسلمٍ سيفا، هذا هو الأصل؛ لأن الأصل: أن المسلمين يكونون جميعا يرفعون سيفًا واحدًا على الكفار، فلا يحل أن يرفع المسلم السيف على مسلم إلا بحقه، وهو من وجب عليه السيف.

فيُرفع السيفُ في القصاص ليُقتصَّ من القاتل، ويُرفعُ السيفُ عند الحدود التي فيها حد القتل، ويُرفعُ السيفُ على الخوارج، ويُرفعُ السيفُ على البغاة إذا أبوا أن ينزجروا ويكفوا عن بغيهم؛ لأن **البغاة غير الخوارج**.

❍ **الخوارج:** يخرجون بالسيف ليزيلوا الإمام، أو لينكروا المنكر.

❍ **البغاة:** عندهم شيء مما يزعمون أنه حقوق هُضِمُوها، فقبل أن يُقَاتَلوا، يُقال: ما الذي لكم؟ قالوا: عندنا حقوق؛ إذا كان بالفعل قد أُخِذَت منهم حقوق؛ تُرد لهم حتى لا يكون السيف بين الأمة.

إذا كان عندهم شبهة تزال الشبهة؛ بحيث ينتقلون من حال البغاة إلى أن يرجعوا إلى الجماعة، فإن أبوا وأصرُّوا حتى بعد ما أُزيلت الشبهة، قالوا: بل نرفع السيف، صار الوضع وضع خوارج، فالأصل أن لا يرفع السيف بين المسلمين.

أهل لا إله إلا الله لا يتقاتلون فيما بينهم؛ لأن سيفهم واحد، فلما ابتُلِيَت الأمة بما ابتُلِيت به وقع

السيف كان لا بُدّ من تحديد الأحوال التي يكون فيها السيف.

أما في الحدود والقصاص فهذا واضح.

أما ما سواه فإن الأصل أن المسلمين لا يتقاتلون، إلا إذا خرجت خارجة من الخوارج فإنهم يُقاتَلُون، وهكذا البُغاة إذا أبوا وأصرُّوا فإنهم يُقاتَلون؛ وإلا فالأصل أنَّ السيف يكون مرفوعًا على غير المسلمين.

۞ قال المصنف: «وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ على أَئِمَّتِنَا وَوُلَاة أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَة الله عَزَّوَجَلَّ فَرِيضَة، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَة، وَنَدْعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاة».

ما أكثر الخوض والخبص في هذه المسألة، وما أكثر الطرفين المتقابلين في هذه المسألة، مع أنها أيسر مسألة من مسائل الاعتقاد فيما أعلم، مسألة يسيرة كبرها الناس، مسألة إذا أردت أن تتحدث عن مسألة ولاية الأمر تجد الكلام فيها سبحان محدودًا جدًا، محدود للغاية مثل ما ذكر عندك الآن، هذا المذكور هنا الآن ينهي الكلام في موضوع الولاية، كلام محدود واضح لكن كثرة النقاشات في هذه المسألة، ودخول الأهواء فيها أدى إلى هذا الطُّول الشديد، وهذا الأمر الذي صار بمثابة العقدة التي لا تتضح، مع أن مسألة الولاية كما قلت مسألة واضحة سهلة؛ لكن مسألة الولاية وقع فيها الحقيقة طرفان ووسط.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جانبًا من **الطرف المقابل لطرف الخوارج** فذكر أن: النواصب في زمن بني أمية كان عندهم اعتقاد رديء جدًا، وهو أنهم يعتقدون أن الحاكم يطاع في معصية الله، وفي طاعة الله، قالوا: لأن الله تعالى أمرنا بطاعته، ونحن مسؤولون عن أمر الله لنا، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء:٥٩]، فسواءٌ أمرنا بحقٍ أو بباطل، هذا أمر راجع إليهم؛ لكن بالنسبة لنا سنطيعهم.

ولهذا قالوا: إن شِمْر بن ذي الجوشن لما قال له أبو إسحاق السَّبِيعِي وسمعه يدعو بدعاء:

قال: تدعو الله تعالى وقد قتلت ابن بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقصد الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال: إن هؤلاء الولاة أمرونا بأمر فلو لم نطعهم لكنا كالحُمُرِ السَّقَّاءات.

يقول: لا بُدّ نطيعهم مطلقًا.

وذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عندهم اعتقادًا عجيبًا جدًا، أنهم يرون أن الحاكم إذا استخلفه الله تعالى فإن

الله يقبل منه الحسنات ويتجاوز عنه السيئات، ولك أن تتصور الحاكم حين يقال بهذا الكلام، حسناتك مقبولة وسيئاتك مغفورة، هذا خطير جدا.

ولهذا: قال الوليد بن عبد الملك للزهري: وكان النواصب قد وضعوا حديثا مكذوبا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا المعنى: «**إِنَّ اللهَ إِذَا اسْتَخْلَفَ خَلِيفَةً قَبِلَ مِنْهُ الْحَسَنَاتِ، وَتَجَاوَزَ لَهُ عَنِ السَّيِّئَاتِ**».

فقال: يا أمير المؤمنين، أنت خير؛ أم داوود؟

إن الله تعالى قال لداوود: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [ص:٢٦] ؛ **أي**: أن الله تهدد داوود.

فقال الوليد بن عبد الملك: إن الناس ليغرُّورنا عن دِينِنَا؛ **أي**: أن هؤلاء كذّابون، غرُّوني، وظننت أن هذا هو الحق، حتى سأل الإمام الجليل الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ، **فقال له**: لا؛ هذ كذّاب، يكذب عليك، فالله تعالى تهدد داوود؛ أفأنت خيرٌ من داوود؟

فكان هؤلاء يقولون بالطاعة المطلقة، ولهذا كان يضرب المثل بطاعتهم، فيقال: طاعة شامية؛ **أي**: أهل الشام يطيعون طاعة مطلقة، وكان الحجاج، يقول: يا أهل السمع والطاعة لأنهم يطيعونه مطلقا، لا شك أن هذا مرفوض وأنَّ هذا باطل، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يمكن أن تأتي الطاعة لمخلوق بهذا القدر سوى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن طاعته من طاعة الله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] .

❍ **الجانب الثاني المقابل**: جانب الخوارج الذين لا يرون أصلًا الولاية ابتداءً، ويرى أن هذا الحكم القائم أنه ما ثبت، وبعضهم يبايع بيعات إما سرّية، أو لأناس آخرين، ويرون أن إمارة المؤمنين في ذاك الشخص؛ أما الذي هو تحت ولايته فلا يَرى له ولاية.

هذا إذا مات بنص الحديث: «**يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»؛ **لأنه** إذا خرج عن السلطان، والخروج عن السلطان يكون بالسيف، ويكون باعتقاد أنَّ هذا الحاكم ليس ولي أمري، وقد ثبتت له البيعة، ولي أمرك رغم أنفك، ولو لم يرق لك وضعه، ما دام مسلمًا أطيعه في المعروف، ولا تطيعه في المعصية، كالنواصب والغلاة من المرجئة؛ لأن هذا الاعتقاد كان عند غلاة المرجئة وعند النواصب، فقابلهم أيضًا الخوارج.

في الوقت الحالي تعقَّد أمر الولاية تعقُّدًا شديدًا، بسبب استقدام جملة من المفاهيم الأجنبية، وبخاصة بعد الثورة الفرنسية، وأُدخلت للأسف الشديد باسم أناس ينتمون إلى الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا رأوا أن الجانب السياسي فيما يتعلق بالشرع أنَّ الوضع فيه معارضة، فيه حكم، وأنها تتداول السلطة بهذا الأسلوب، وأنَّ الأصل أنْ يُرجع إلى الشعب، فإذا أقروا انتخاب الحاكم يبقى، وإذا ما أقروه في قسم آخر اسمه معارضة، هذه المعارضة تأتي وتكون هي الحاكم، ثم ننظر ماذا تفعل المعارضة؟ فإذا رضيها الشعب فبها ونعمة، وإذا ما رضيها الشعب، أنت يا حاكم تقدم في الانتخابات القادمة، وانظر ماذا يقول الشعب؟ فإذا فزت بالاقتراع تعود المعارضة على الجهة اليمنى، هذا عند الذين لا يعرفون الله واليوم الآخر، من بهائم الغرب.

أما في الإسلام فالله تعالى كفانا هذا.

الأصل عندنا أنَّ هناك جماعة.

والجماعة مكونة من: (حاكم ومحكوم).

والأصل الشرعي فيها هو التعاون، كما يتعاون المؤمنون بعضهم مع بعض سواء كان حاكم ومحكوم، جار مع جاره، زميل مع زميله، الأصل أنَّ المؤمنين إخوة، فإذا غلِط الحاكم يُحتسب عليه كما سيأتي إن شاء الله تعالى، ويُنصح كما يُنصح أي مسلم، ولكن نصيحة الحاكم كما سيأتي لها شأن عظيم؛ لهذا يُشترط فيها جانب السر كما سيأتي بالحديث في مسند أحمد.

وعموم النصيحة للمسلم أن تكون بينك وبين أخيك النصيحة، فجاءت هذه المفاهيم للأسف الشديد وغُلِّفَت بغلاف إسلامي، مما أوجد بلبلة كبيرة في هذه المسألة، ولا يوجد في الشرع مطلقًا شيء اسمه معارضة، الموجود في الشرع اسمه أمر بمعروف، ونهي عن منكر، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر أباك وأخاك وجارك وزميلك، ويأمر بالمعروف الصغير، الصغير يأمر الكبير، العامِّي قد يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر العالم، الرعية تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، بالأسلوب الشرعي للحاكم، الأصل التعاون.

أما قضية معارضة وأن يجلس الحاكم لهذه المعارضة وتجلس المعارضة لهذا الحاكم، فهذا ليس من دين الله، في قليل، ولا كثير، إنما استُقْدِم من الغرب كما استُقْدِمَت جملة من المفاهيم الفاسدة،

وغُلِّفَت بالغلاف الشرعي.

أما أن يكون لها في دين الله شيء فمطلقًا، لا يمكن أن يكون هذا، الأصل أن الحاكم إذا حكم أنه يبقى، وليس هناك تحديد لعمره.

عثمان استشهد رضي الله عنه وعمره في الثانية ثمانين.

فلا يقال: إذا بلغ مدة، أو تكون مدة الولاية خمس سنين، أو سبع سنين، ما في هذا الكلام، إذا ثبتت بيعته واستمر في الأحوال التي بويع عليها من كونه مسلمًا عاقلًا بالشروط المعتبرة فإنه يبقى، ما دام قادرا إلا أن يطرأ عليه عجز في عقله أو نحوه، ففي هذه الحالة يكون غير مكلفٍ شرعًا هذا وضع آخر.

أما مثل هذه التحديدات فليست من دين الله في قليل، ولا كثير؛ لكن للأسف الشديد شاقت هذه المسائل، شاقت جملة من المتأخرين، ودخلت على المسلمين هذه الدولة صارت قضية ولي الأمر هذه صارت قضية من القضايا كأنها مستغلقة صعبة، مع أنها قضية سهلة، ولي الأمر واحد من المسلمين أخٌ لهم وهم أخوانٌ له، لا يمكن أن يجلسوا يترصدون له أو يجلس هو يترصد لهم مطلقا، هذا ما هو في دين الله، ولا يُهيئ الشرع الأمة على هذا الأساس، إنما هي جماعة من حاكم ومحكوم، يتعاونون على البر والتقوى، هذا الأصل، ولهذا يُؤمر الحكام بالرّفق بالرعية، وتُؤمر الرعية بالصبر على الحاكم، حتى تستقيم الأمور، وهذا الذي عليه عمل السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم، ثم إنه إذا وجد خطأ من الحاكم ولا بد أن يوجد خطأ، يأتي الجانب المتعلق بأمره، فإذا أمر بمعصية فبنص الحديث، يقول صلى الله عليه وسلم: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**».

أصلًا: ما يسمع لأحد في المعصية، لا حاكم، ولا أب، ولا زوج، ولا سيد مع عبده، مطلقا ما في أحد.

مخلوق هذا ما يمكن نطيع مخلوقًا في المعصية، إذا أمر بالمعصية ماذا نفعل؟ ببقية أوامره بقية أوامره الثابتة الصحيحة لأنَّ له الولاية الصحيحة؛ لكن يُرد عليه الباطل الذي أمر به، فلا يُطاع في المعصية، وبعضهم يقول، أو يفهم: أنه إذا أمر بمعصية سقطت ولايته؛ هذا غير صحيح، ما تسقط الولاية إلا بالكفر، البواح كما قال عليه الصلاة والسلام: «**حَتَّى تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ**».

ماذا نفعل مع أخطائهم؟

روى أحمدُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلَا يُبْدِهِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ**»؛ أي: فيما بينه وبينه، «**فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ وَإِلَّا فَقَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**»، قد أديت الذي عليك بأن نصحت هذا الحاكم وأمرته بالمعروف، ونهيته عن المنكر؛ لكن لا تُبده علانية، ما يُصعد على المنابر ويُنشر ما عنده من أخطاء؛ فهذا غلط.

والحقيقة أن مثل هذا الأسلوب يؤدي إلى عناد الحاكم.

وهذا من الإشكالات الكبيرة، ويؤدي إلى أنَّ الحاكم يقول: ما دامت الأمور بهذه الطريقة، فالولاية الصحيحة، والسياسة السليمة أنْ أُصر، حتى إذا نصح الصادق للحاكم، وإذا بالحاكم قد استغلق فيتسبب الحمقى في صعوبة نصح الحاكم.

ولهذا: ليتهم لا ينصحون، إذا أرادوا الأجر لا ينصحون؛ لأن الله سَيُبقي في الأمة من يحسن النصيحة، أما هذه الاستفزازات فغلط، أو جمع الأخطاء ثم إرسالُها، نشرها في الفضاء الخارجي هذا، فيستغلُّها الكافر ويستغلّها العدو، ثم يبدأ يُنشر هذا الأمر للمسلمين.

○ **الأصل**: أنَّ المسلمين بمثابة الأسرة الواحدة، مثل بيتك، إذا جاءت فيه مشكلة جارك ما يدري عن بيتك في مشكلتك، هذا هو الأصل عند العقلاء، أما الذي ينشر مثل هذه الأمور خطأ، ثم الذي يفرح في هذه المسائل، إذا وجد واحد شخص وجد له مشكلة من حاكم جاء يقولها يكفي الناس همومهم وغمومهم، تزيد الناس همًا وغمًا حتى تنشر مثل هذا الباطل، كل هذا أدى إلى استفحال مشكلة الولاية، الولاية انظر الأصل، انتهت عند الطحاوي انتهت تماما عند العقلاء الذين يفهمون مثل هذه المسائل كيف يتعاملوا معها؟

فلا نكن على حد نواصب بني أمية الذين يقولون يطاعون في المعصية، أو من ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن يُزينون لهم الباطل، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم سَيُذَادون عن الحوض، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَرَاءُ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَنْ يَرِدَ عَلَيَّ الْحَوْضَ**»؛ فهؤلاء ضررهم بالغ على الأمة، وعلي الحاكم، بدل أن ينصحوا الحاكم ويكونوا هيبة نصح له، يكونون معينين له على الباطل، فلهذا يذادون

عن الحوض.

في المقابل الذي يحصل من إثارة الحاكم، أو تهوين شأن الحاكم ورد في الحديث: «**مَا مِنْ قَوْمٍ مَشَوْا إِلَى سُلْطَانِ اللهِ؛ لِيُذِلُّوهُ إِلَّا أَذَلَّهُمُ اللهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، إذلال الحاكم مشكلة؛ لأن الحاكم بمثابة الرأس للأمة، فإذا أُذلَّ وأُهين؛ فالحقيقة أن الأمة أُهينت؛ **أي**: هذه البلدة إذا أُهين حاكمها؛ فالحقيقة أن الجميع أُهين؛ فمثل هذه الطرائق أدت إلى شيء من شدة هذه المسألة بين الحكام وبين المحكومين، وصار بعض الحكام ينظر إلى هذه الرعية بمثابة العدو المتربص له، وفي المقابل صار بعض من في الرعية لا يرى ولاية لهذا الحاكم، وبالتالي يكيد المكايدات المتنوعة، وقد يفعل في السر أمورًا ويُدركُها الحاكم لاحقا فيؤدي إلى شيء من الخلل والإشكالات والضرر العظيم.

❍ **فالأصل: أن يكون المؤمن بين الحاكم والمحكوم هيبة نُصح؛**

يأتي إلى الحاكم إذا كان يتمكن من الدخول إليه، ويذكره بحقِّ الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله سائله عن هذه الرعية، وأنهم جميعًا في رقبته، وأنَّ الله سيسأله عنهم صغارًا وكبارًا، ويؤكد عليه الرحمة والشفقة بهم، وتقوى الله فيهم، وإيفاء الحقوق لهم.

إذا أتى إلى الرعية قال: هذا حاكمكم، وولي أمركم، والذي لو انفرط العِقد؛ لكان أول المتضررين أنتم، فإياكم والشطط، والخلافات فإنَّ أول من سيذوق الوبال والنكال أنتم.

فإعزاز الولاية، وبقاؤها قوية في غاية الأهمية، ثم تُعالج الإشكالات علاج الناصح، بحيث يكون الإنسان منصفا متقيًا لله، لا يكون مع الحاكم على الرعية، ولا يكون مع الرعية على الحاكم، يكون مع الحق، فيأتي إلى الحاكم ويذكره بربه، ولذلك كان السلف يدخلون على الحكام.

ولما نقد الإمام مالك -**أي**: نقد العلماء عجيب منذ القدم- **قال رجل لمالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبد الله تدخل على هؤلاء الولاة وقد علمت أنهم يظلمون.

قال: رحمك الله فأين الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟

يقول: ما دخلت عليهم أنا أسألهم مالًا، أنا دخلت عليهم ماذا أطلب منهم؟ أذكرهم بالله أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، إذا قلت لا تدخل من يأمرهم بالمعروف، من ينصح لهم؟ فلا بد أن يُدخل عليهم، وأن يذكروا بالله عَزَّوَجَلَّ، وأن تكون الأمور بينهم وبين أهل العلم في حال من الخُفية، وفي

حال من الإصرار وإذا وجدت مثلا هذه الإشكالات فلا شك أن أفضل طريقة لعلاجها هو السر، أما إذا انتشرت فالغالب أن الحاكم يصر، ويكون من الصعب أن يرجع.

فالواجب أن يُتقى الله في هذه المسألة، وأن لا تُتلقى وهذه من المشاكل الآن، أن لا تَتَلقى هذه المسألة من شخصٍ في كلية الزراعة، شخصٌ في كلية الهندسة وشخصٌ في كلية العلوم، ما الذي يُدخل هؤلاء في هذه المسألة؟

مسألة السياسة الشرعية من أعمق وأدق وأصعب فنون العلم الشرعي، صعبة للغاية من جهة التطبيق، أما من جهة الاعتقاد، واضحة كما ذكرت لك؛ لكن حين يأتي شخص يقول: هذه المسألة الوضع للسياسة الشرعية؛ أن يُقاوم فيها الحاكم، أو هذه المسألة من حيث السياسة الشرعية كَفَر بها الحاكم، ويُنَزِّل هذه المسألة على حديث: «**حَتَّى تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا**»، بناء عليه لا بُدّ أن يزال، مسألة في غاية الدقة، وفي غاية الخفاء، التطبيقات.

أما الاعتقاد انتهى في ثلاثة أسطر، هذا هو؛ لكن التطبيقات فتلقاها الناس من غير أهل العلم الشرعي وصار الواحد منهم يقول: أنا معاذ الله أتكلم في الطهارة في الصلاة، أقول على الله بغير علم في الحج؛ معاذ الله.

والسياسة الشرعية أليست أحكاما شرعية؟ أليست يمكن أن تُسفك بها الدماء؟ أليست يمكن أن تزول فيها البلدان؟ تتورع عن مسألة من المسائل التي لو أفتيت أحدًا وأخطأ في الوضوء، أو في الصلاة، تقول معاذ الله، لا أقول على الله بلا علم، تدخل في هذه المسألة العظيمة التي يمكن أن تُسفك فيها الدماء ويموت فيها مئات أو آلاف الأشخاص، يقول لك هذا رأيي، من قال هذه مسائل فيها رأي؟ هذه مسائل السياسة الشرعية.

أين ذكر الطحاوي هذه المسألة؟ أين ذكرها الإمام الصابوني؟ أين ذكرها الإمام أحمد؟

الجواب: في كتب العقيدة.

مسألة عقديَّة لا بُدّ يفهم هذا، ما تَتَلقى من الرعاع ومن هب ودب، يقول: هذا وجهة نظري، من قال لك إنها وجهة نظر؟ هذه السياسة الشرعية، يجب أن يُعمل فيها قول أهل السنة وأن يكون قول الوسط ولا قول المرجئة ولا قول الخوارج، لأجل ذلك لمَّا ضاعت المسألة هذه انظر ماذا حصل للأمة في عشر

السنين الماضية! كمْ هلك من المسلمين في فترة ما سموه بالربيع العربي، ما النتيجة؟ ما العاقبة؟ هلك من المسلمين، وانتُهك من أعراض المسلمات، ودُمرت من البلدان ما لا يحيط به إلا الله، وجهة نظر، من قال لك وجهة نظر؟ من قال إن السياسة الشرعية وجهة نظر؟ تتورع عن مسائل يسيرة، وتدخل في مسائل الدماء، في مسائل الأحكام، تقول هذا ما له ولاية، ثم تخرج مسائل عجيبة جدًّا ليست من قول أهل السنة، يقول لك لا يُطاع أصلًا إلا الخليفة العام، الخليفة العام فقط هو الذي يطاع، أما كل حاكم لدولة، أو إمارة، أو غير ذلك؛ فهذا ما لها أساس؛ إنما يُطاع الخليفة العام، هذا الكلام من أقبح أقوال الخوارج.

يقول الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الخليفة بالمعنى العام هذا قد زال قبل وقت الإمام أحمد، صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن الولاية القوية كانت لبني أمية، حيث سيطروا على جميع البلدان، لما جاء زمن بني العباس، خرجت مجموعة كبيرة من الولايات عن بني العباس، وصار بنو أمية في الأندلس، وكان العلماء في الأندلس يقولون: لأهل الأندلس أطيعوا بني أمية، والعلماء في العراق وفي الشام وفي مصر يقولون: أطيعوا بني العباس، ومن يوجد في بلد ويستطيع الاستقلال به؟ يقول أطيعوا هذا، من قال إنه لا يطاع إلا الخليفة العام؟ ثم إلى متى ننتظر كأننا كالرافضة، ننتظر من يخرج من السرداب حتى يأتي الخليفة العام؟ ألف سنة؛ نبقى هكذا فوضى، كأهل الجاهلية، من أين جاءت هذه الفكرة؟ من جهلة، لا يحسنون الأمر.

أو كما **قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب**: هذا الأمر من قبل وقت الإمام أحمد، ما كان في ولاية عامة بالمعنى الذي كان في زمن بني أمية، وجد خلافة لبني العباس، لكن خرج من بني العباس كما قال شيخ الإسلام كثير من البلدان؛ صار فيها مجموعة من الولاة يديرون الأمور بقطع النظر عن ولاة بني العباس، وبعضهم من باب المجاملة، يوم الجمعة يخطب بالدعاء للخليفة العباس، لكن كل الأمور تدار من غير بني العباس.

فمثل هذا الكلام خطير جدًّا يؤدي إلى أن الإنسان في وسط بلده يشعر أن الحاكم هذا ليس بولي أمر، بالتالي أي أمر يمكن يقوله ما لي علاقة؛ لأنه ما له ولاية، وذاك الحاكم في البلد الثاني وذاك الثاني ماذا يصير أهل السنة في مثل هذه الأحوال؟ هذه الأقوال من أين أتت؟ لا شك أن من الجهلة.

فالحاصل أن المسألة أيها الإخوة عظيمة جدا، لا تستسهل هذا الأمر، لا تتقبل مسائل السياسة

الشرعية من كل من هب ودب، اقبلها من أهل العلم الشرعي، انظر كيف تُذكر في كتب الاعتقاد، فلا نبالغ مبالغة النواصب، أطيعوا في المعصية لا، لا طاعة لمخلوق في المعصية، وأيضا لا نضيع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن نسقط الولايات فتهدم البيوت على رؤوس المسلمين.

قوله: «**وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ على أَئِمَّتِنَا وَوُلَاة أُمُورِنَا**»، والله تعالى هو الذي ولَّاهم ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦]، والله لا يملك أحد على وجه الأرض إلا إذا مكَّنه الله، وإذا شاء الله أن يزيله أزاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما أزال أناسًا بعد أن بقوا، غاية في القوة نحو أربعين سنة، ثم زالوا بأضعف ما يكون.

الملك لله عَزَّوَجَلَّ، ثم ننظر هذا الذي ولَّاه الله تعالى أمرنا، فإن أمرنا بمعروف أطعناه، وإن أمرنا بمعصية لم نطعه في المعصية، ونُبْقِي على كيان الأمة، نُبْقِي على جماعة الأمة.

ما معنى الجماعة؟ حاكم ومحكوم، إذا زال الحاكم؛ تكون فرقة، ما يكون في جماعة، لأجل ذلك **قال:** «**وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ على أَئِمَّتِنَا وَوُلَاة أُمُورِنَا**».

قوله: «**وَإِنْ جَارُوا**»؛ **أي:** وإن ظلموا، الظلم يكون بالدماء، يكون بالأموال، يكون بالاستحواذ، على الأملاك التي لا يحلُّ أن يُستحوذ عليها، ولهذا بايعهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِيمَا أَحَبُّوا وَكَرِهُوا، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا**»، سيُستأثرُ عليك، وتُؤخذُ أمور عامة، لا يجوز أن يأخذها الحاكم، لأنها للجميع، بايع على السمع والطاعة حتى في مثل هذه الأحوال، حتى يبقى للأمة كيانها.

قوله: «**وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ**»؛ الأصل: أن يُدعى لهم لأنهم من المسلمين، والمسلم يدعو للمسلم.

فأمَّا الدعاء عليهم؛ فكما قال مطرِّف بن عبد الله بن الشخير: لما قال له رجل: أدعو على الحجاج، قال: أدعو له بالصلاح؛ فإن صلاحه خير لك.

لأن الدعاء لهم بالهداية والتوفيق دعاء للمسلمين وصالح لنا.

فأما الدعاء عليهم، ولا سيما هذه الدعوة: «اللهم لا توفقهم»؛ إذا دعوت بأن لا يوفقهم الله، دعوت على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا لم يوفقهم الله زادهم الله تسلطا، فلذلك لا يُدعى عليهم.

قوله: «**وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ**»؛ بحيث يقول الإنسان: أنا لا أرى طاعتهم، حتى لو قال: أنا والله لن

أحمل سيفًا، ولا أُريق دمًا، لكن هؤلاء لا أرى أنهم يستحقون أن يكونوا حكاما.

إذا اعتقد هذا الاعتقاد، فلو لم يسفك دمًا يموت ميتةً جاهلية، لدخوله في قوله: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»؛ فلو خرج عنه بالسيف، أو خرج باعتقاده أنه ليس له ولاية.

ولهذا قال أبو سعيد رضي الله عنه كما في المصنف: «إياكم وميتةً جاهلية»، قالوا: وما ميتة الجاهلية؟ قال: أن تموت ولا إمام عليك.

تعتقد أن هذا الحاكم بالنسبة لي ما لي به أي ارتباط، أنا لا أرى أنه حاكم، حتى لو لم تسفك دمًا؛ فإنك تُعد ممن يموت ميتةً جاهلية؛ لأن لا بُدّ من أن تعتقد ولايته، أنَّ الله ولاه، وأن ولايته ثابتة بصفته من المسلمين، كما أنه ثبتت ولاية مثل الحجاج بن يوسف الذي قال صلى الله عليه وسلم: «**يَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ**».

الكذّاب: هو المختار بن أبي عبيد؛ ادعى النبوة.

والمُبير؛ **أي**: المُهلك هو: الحجاج بن يوسف.

ومع ذلك كان الصحابة يصلون خلفه، وكانوا إذا أمر بأمر من الحق والخير أعانوه.

وإذا أمر بباطل لم يعينوه، هذا هو الأصل، وهذا هو المنهج الذي عليه منهج السلف رضي الله عنهم وأرضاهم.

فأما إذا رُؤي أنَّ مسألة الولاية مجرد وجهات نظر، ثم يقول قائل: هذا الآن وجهة نظرك، أنا أقدر وجهة نظرك، أنا لي وجهة نظر.

هذه عقيدة أصلح الله حالك، ليست مسألة وجهة نظر، أنا أرجح هذا الأمر، هذه مسألة عقيدة يترتب عليها وصف خطير جدا، وهو أن يكون الإنسان من الخوارج.

الخوارج نوعان:

- **النوع الأول**: خوارج يحملون السيف.
- **النوع الثاني**: خوارج قَعَدَة.

معنى قعدة؟ ما يحمل السيف؛ لكنه يُزيِّن الخروج ويُحسِّنه، فينبغي أن يُتقى الله في هذه المسألة.

المسألة هذه أضرت بالمسلمين، مَزِيَّةِ هذه المسألة أنها ترتّب عليها أشياء تطبيقية في حياة الناس، ترتّب عليها دماء، ترتّب عليها فوضى، ترتّب عليها حرب، ترتّب عليها أن يُسَلّ السيف على الأمة فيما بينها، فلهذا يجب أن تُضبط هذا الضبط.

قوله: «**وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَة الله** عَزَّوَجَلَّ»؛ لأن الله قال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء:٥٩]، وقال: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»؛ **أي**: من يعصيه في المعروف، المقصود من يعصيه في ما لا يحل أن يعصيه به، ومن يأبى طاعته في المعروف، لأجل ذلك فطاعته من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «**مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَة**»، إذا أمر مخلوق بمعصية فكلامه مردود عليه ولو كان أباك أو أمك، أو كان زوجا للمرأة أو سيدا للعبد، أو ولي أمرٍ للرعية لا يُطاع أحد، هذه قاعدة كبرى قد بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»؛ لأن ما ثبتت الطاعة هؤلاء المخلوقين إلا بأمر الله، فكيف نُطيعهم في المعصية.

قال: أصل طاعتكم فرعٌ عن طاعة الله فنحن نطيعكم طاعة لله، فلا تتسور طاعتكم على طاعة رب العالمين.

لذلك تنضبط المسألة، ويبعد الإنسان عن الشطط، وعن قول الخوارج، وعن قول المرجئة، يكون على مِنهاج سليم.

قوله: «**وَنَدْعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاة** »؛ **أي**: لا ندعو عليهم، ولكن ندعو أن الله يصلح حالهم، وأن يعافيهم من شرور أنفسهم، وشر من حولهم، وشر شياطين الإنس، والجن، وأن يصلح الله تعالى حالهم ويُنصحون.

لما التقى الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ كان خيار بني العباس للفُضَيْل بن عِياض في عرفة، وقال له: عظني، قال: ترى هؤلاء الجمع؛ كلهم يوم القيامة يُبعث يُسأل عن نفسه، وأنت ستُسأل عن كل هؤلاء.

أي: ينصحون، فاتقوا الله في هذه الرعية، الرعية هؤلاء كلهم في رقابك ضُعفائهم، أيتامهم، مرضاهم، المحتاج منهم كل هؤلاء في ذمتكم.

احرصوا على إيصال الحقوق إليهم، يُنصحون ويُدعى لهم بالمعافاة، في كل إنسان عنده ضبط لهذه

المسألة.

أنا أطلت الحقيقة في هذه المسألة، مع أنها كما قلت: أيسر المسائل الآن، ما عندنا مشكلة، مع ما عندي قدري، ما عندي جهمي، ما عندي مُرجئ؛ لكن هذه المسائل ضرت الناس، وصار فيها خلل بالغ، وأدت إلى مثل هذا الأمر العظيم، الذي أدى إلى ما أدى إليه من الفوضى في بلدان المسلمين بما احتاج المقام معه إلى هذه الإطالة.

قال المصنف: «وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ. وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ».

قوله: «نَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ»؛ لأنَّ أهل السنة والجماعة.

قوله: «وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ»؛ الشيء الذي يكون فيه بعد عن الجماعة، وآراء غاية في الغرابة والسوء نتجنبها، ونتجنب الشيء الذي يُؤدي إلى افتراق المسلمين واختلافهم.

قوله: «وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ»؛ لأن المؤمن يحب المؤمنين.

قوله: «وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ»؛ **أي**: أهل الجور وأهل الظلم والخيانة هذا نبغضهم في الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنهم: أهل هذه الذنوب.

أما أهل الحق، وأهل التقوى؛ فهم: أهل عدل، وأمانة.

قال المصنف: «وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ».

هذه قاعدة، كل ما «اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ» فكيف نخوض فيه؟ نحن لم نعلمه، بالتالي نُحيله إلى الله إذا اشتبه عليه الأمر نقول الله عَزَّوَجَلَّ أعلم به.

قال المصنف: «وَنَرَى الْمَسْحَ على الْخُفَّيْنِ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ».

هذه المسألة من المسائل الفقهية المعلومة، أصلًا هذه المسألة لو تتأمل يا أخي جزء من الوضوء، ولم ينصوا على الوضوء؛ لأن الوضوء له كتب خاصة، (كتب الأحكام)، نصوا على مسألة المسح على الخفين تحديدًا، لأن الذي يُخالف في هذا هم الرافضة والخوارج، لا يرون المسح على الخفين، وجعلوها بمثابة الشعار لهم فصار أهل البدع لا يمسحون على الخفين، فنص أهل العلم في العقيدة على

أن هذا حكم ثابت، وأدخلوه في كتب العقيدة، وأنّا «نَرَى الْمَسْحَ على الْخُفَّيْنِ، في السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ في الْأَثَرِ» على التفصيل المعلوم في الفقه.

❁ **قال المصنف:** «وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا».

قوله: «الْحَجُّ وَالْجِهَادُ»، الحج لا بُدّ أن يكون تحت ولاية؛ **أي:** ما في حج هكذا، كل من أراد يحج، يحج وحده، ثم إذا اجتمع الناس هنالك ما هنالك ولاية، لا بُدّ كما تلاحظ هنا، لا بُدّ من أمير للحج يُعين، والغالب أنه يكون أمير مكة، أيضًا لا بُدّ من قضاة أن يقع هناك جملة من النوازل ما يُترك الناس هكذا، فلا بد من ولاية في الحج.

قوله: «وَالْجِهَادُ»، الجهاد يمضي كالحج، تحت ولاية، الأصل أن الجهاد تحت ولاية، وليس الجهاد أمرًا هكذا يقترحه مجموعة من المتحمسين، وأهل الطيب، والصلاح، والمحبين لأمتهم، لا بُدّ أن يكون هناك ولاية في الجهاد، ولهذا لا بُدّ من إذن ولي الأمر في الجهاد، ولذا ذكرهما هنا مع أولي الأمر حتى لا يُبطلا.

قوله: «بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ»؛ لأن ولي الأمر قد يكون برًا فيُحج معه، ويُجاهد معه، وقد يكون فاجرًا.

ما الحكم؟

الجواب: لا يمكن أن نعطل الحج والجهاد لأجل فجور الحاكم، فجوره عليه؛ لكن الحج، وهكذا العيدان، والجمعة تمضي، هذه لا بُدّ أن تمضي، حتى وإن كان الحاكم قد يتقدم مثلا في العيد، ويصلي بالجماعة وهو فاجر، يصلى خلفه، حتى لا تبطل هذه الشعيرة، لأن لو قلنا: لا تصلون خلفه لأدى ذلك إلى زوال هذه الشعيرة العظيمة، شعيرة العيد، وهكذا الجمعة، وهكذا الجهاد، والحج تمضي مع الأبرار من هؤلاء الحكّام والفُجّار «إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا».

❁ **قال المصنف:** «وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ الله قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ».

هذا نموذج على ما ذكرنا من أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يرد ترتيب الموضوع.

تقدم أنه **قال:** «الْإِيمَانُ بالله، وَمَلَائِكَتِهِ»، لم يتكلم هناك عن الكرام الكاتبين وهم من ذكر الله ﴿وَإِنَّ

عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار:١٠-١١]، هم الذين يكتبون أعمال العبد ويحفظونها عليه، وهذا جزء من الإيمان بالملائكة.

❁ قال المصنف: «وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ له أَهْلًا».

تكلم أيضًا فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة «بِمَلَكِ الْمَوْتِ»، سماهم هكذا: ملك الموت؛ لأنه لم يثبت أن اسمه: عزرائيل، ولهذا قال الله تعالى ﴿❁ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١]، فملك الموت، نؤمن أن للموت ملكًا وُكّل به، وأنه يقبض بإذن الله تعالى أرواح هؤلاء العالمين.

❁ قال المصنف: «وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ له أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِه عَنْ رَبِّه وَدِينِه وَنَبِيِّه، على مَا جَاءَتْ به الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الصَّحَابَة رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ، وَالْقَبْرُ رَوْضَة مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّة، أَوْ حُفْرَة مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ».

قوله: «الْقَبْرِ»؛ هو أول منزلة من منازل الآخرة، إما أن يكون روضة من رياض الجنة، وإما أن يكون حفرة من حفر النار.

والذي يكون في القبر شيئان:

❍ **الأمر الأول:** السؤال: وهو المذكور والمعبر عنه بالفتنة: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي قُبُورِهَا**»، فتنتها بسؤال العبد عن ربه ودينه ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإما أن يوفق الجواب، وإما والعياذ بالله أن يضل، هذه هي الفتنة.

❍ **الأمر الثاني:** النعيم أو العذاب الذي يكون فيه، لا يحيط به إلا علّام الغيوب، وهذه القبور فيها ما لا يحيط به إلا الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مُمْتَلِئَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ظُلْمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهَا**».

فهذه القبور فيها أحوال عظيمة وهائلة؛ ولذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**».

قوله: «مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ»؛ ملكان يسألان العبد عن ربه ودينه ونبيه، نؤمن بذلك على ما جاءت به الأخبار.

قوله: «بِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ له أَهْلًا».

ثم قال في الأخير: «وَالْقَبْرُ رَوْضَة مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّة، أَوْ حُفْرَة مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ»؛ أي: أنَّا نؤمن بما يكون في القبر من عذاب ونعيم، فهو يقول: «بِعَذَابِ الْقَبْرِ» المقصود وبنعيم القبر أيضا، ولهذا ذكره في الأخير وهو أن القبر إما أن يكون روضة، وهذا جزء من حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»، وورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ؛ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ».

۞ **قال المصنف:** «وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَة، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَة الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ».

ذكر هذه الأمور التي تكون في القيامة، القيامة فيها عرصات، تكون فيها جملة من الأحوال، أول ما يكون في القيامة «الْبَعْث»، تُبعث هذه الخلائق، وتجاز بأعمالها.

قوله: «وَالْعَرْضِ» يُعرض على الإنسان عمله، ويُحاسب وهكذا.

قوله: «قِرَاءَة الْكِتَابِ»، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤] .

قوله: «وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ»؛ أن يكون فيه ثواب، ويكون فيه عقاب في الآخرة، في العرصات قبل دخول النار، فمنهم: «مَنْ يُظِلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ».

ومنهم: «الْمُتَكَبِّرُونَ يُحْشَرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ»، النمل الصغير «يَطَؤُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ»، في ذاك الزحام الهائل المتكبر يحشر مثل الذر يطؤه الناس، في ذاك الحال من العرق الذي تُدنى فيه الشمس، هذا متكبر متغطرس هذا جزائه، حين رفع نفسه وهذه الصفة لا تليق إلا بالله صفة الكبر، فكان جزاؤه أن يُصغَّر ويُحقَّر ويُهَان، والعياذ بالله بحيث يكون في هذا المقام.

قوله: «وَالصِّرَاطِ»، وهو: جَسْرٌ ممدودٌ على متن جهنّم يمرُ عليه الناس، فمن جاوز الصراط نجا، ومن زل من الصراط سقط في النار.

قوله: «وَالْمِيزَانِ»؛ وله كفتان، كفة فيها الحسنات، وكفة فيها السيئات، إن رجحت كفة الحسنات نجا الإنسان، وإن رجحت كفة السيئات هلك إلا أن يرأف الله به.

❁ **قال المصنف:** «وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تبيدان، فإن اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، والخير والشر مقدران على العباد».

قوله: «وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ»،

❁ **الجنة والنار الاعتقاد فيهما على النحو الآتي:**

❍ **أنهما مخلوقتان:** لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] في الجنة، قوله في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] .

وهكذا جملة من نصوص الأحاديث الدالة على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى أحوال أهل النار فيها.

وأن العبد إذا كان في قبره يُفتح له باب إلى الجنة إذا كان من المنعمين فيأتيه من طيبها ورثها.

وإن كان من المعذبين يفتح له باب إلى النار.

وهكذا قوم فرعون بنص القرآن يعذبون في قبورهم ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، هذا في قبورهم.

لهذا قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، فهذا العذاب في العرض بالغداة والعشي هذا في قبورهم، ولهذا في الآخرة يكون حالهم في أشد العذاب. «فَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ».

❍ **الاعتقاد الثاني:** أنهما: «لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تبيدان»، الله خلقهما للبقاء، فالجنة يبقى فيها المؤمنون إلى ما لا نهاية، يعيشون في قرة عين كما قال بعض السلف: لولا أن أهل الجنة لا يموتون لماتوا فرحا. من شدة الغبطة وترادف النعيم بشكل دائم ومستديم، ولهذا نقول للإخوة الدنيا ما فيها راحة، الراحة الحقيقية في الجنة؛ إن كنت تظن أنها ستكون في راحة في هذه؛ لن تكون في راحة، الراحة الحقيقية التامة في الجنة، فلا تطلب من الدنيا ما لا يُطلب إلا في الجنة، الراحة الحقيقية في الجنة، بحيث يكون عند الإنسان نعيم دائم مستمر، لا يتنغص مطلقا، وهكذا والعياذ بالله أهل النار.

أهل النار صنفان:

❍ **الصنف الأول**: هم أهل الكبائر: وهؤلاء قلنا يُخرجون من النار بعد أن يبقَوْا فيها ما شاء الله يعذبون ويمحصون ثم يخرجون إلى الجنة.

❍ **الصنف الثاني**: هم أهل الكفر: الذين لقوا الله تعالى كافرين، فهؤلاء يبقون فيها، أبد الآباد لا يمكن أن يُخرجوا.

فالجنة لا تفنى، والنار لا تفنى، ويبقى الجميع فيها أبد الآباد على التفصيل الذي ذكرنا، من أن أهل المعاصي يُخرجون منها؛ لكن الكفار يبقون فيها أبدا ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، وأهل الإيمان يبقون في الجنة أبدا ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] .

بقية الكلام سبق الكلام عليه عند موضوع القدر.

قال المصنف: «وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به؛ فهي مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ والوسع والتمكن وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ؛ فَهِي قَبْلَ الْفِعْلِ وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] ».

قوله: «**وَالِاسْتِطَاعَةُ**»؛ **الجبرية، ومنهم الأشاعرة**: يقولون فيه استطاعة واحدة، وهي: «**الِاسْتِطَاعَةُ**»، «**مَعَ الْفِعْلِ**»، وبالتالي ما يكون عند العبد الاستطاعة السابقة.

❍ **المعتزلة**: يقولون فيه استطاعة واحدة، وهي: «**قَبْلَ الْفِعْلِ**».

والصحيح ما قاله المصنف؛ **أن الاستطاعة نوعان:**

❍ **النوع الأول**: «**اسْتِطَاعَةٌ**» **تكون** «**مَعَ الْفِعْلِ**»؛ **أي**: مثل صلاتك، الآن إذا صليت أنت استطعت الصلاة لأن الله وفقك فصليت الآن، فهذه مصاحبة للفعل، **ولهذا قال**: «**الِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به**» **تكون** «**مَعَ الْفِعْلِ**»؛ لأن الله وفقك فصليت.

❍ **النوع الأول**: «**الِاسْتِطَاعَةُ**» **التي قبلها** «**مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ والوسع والتمكن وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ**»؛ **أي**: أن الإنسان في بيته الآن، آلاته مثل رجليه سليمة يستطيع أنه يمضي ويمشي إلى المسجد، هل عنده استطاعة؟ أم ما عنده استطاعة؟

❍ **الجبرية**: يقول ما عنده هذه الاستطاعة، لأنهم لا يرون أن العبد مستطيع، وهذا الكلام باطل، بل عند العبد استطاعة، وكل أحد يدرك هذا.

الآن إذا أذن المؤذن خرج الناس منهم من يخرج إلى المسجد، ومنهم من يخرج إلى ما شاء الله أن يخرج إليه من الأماكن التي ليس فيها صلاة لا يريد الصلاة.

هذا عنده استطاعة أن يأتي إلى المسجد، وهذا عنده استطاعة، فهناك «**اسْتِطَاعَةٌ**»، «**قَبْلَ الْفِعْلِ**»، وهناك «**اسْتِطَاعَةٌ**» مصاحبة للفعل، «**فَسَلَامَةِ الْآلَاتِ**»، و«**الصِّحَّةِ**» هذه «**قَبْلَ الْفِعْلِ**»، وبها يتعلق الخطاب، الرب يُخاطبك الآن وأنت عندك آلات سليمة.

أما المقعد الآن في بيته الذي هو على ظهره لا يستطيع أن يأتي إلى المسجد، فيؤمر بالصلاة في بيته؛ لكن لا تلزمه الصلاة في المسجد لأن ما عند السلامة آلات ما يستطيع أن يمشي، فإذا نفينا الاستطاعة بهذا المعنى يقع قول جبرية، فالاستطاعة نوعان على التفصيل الذي ذكرت.

❁ **قال المصنف**: «**وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ الله وكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ**».

قوله: «**أَفْعَالُ العِبَادِ**» من جهة أن الله تعالى خلق العبد وخلق أفعاله، فلو لم يخلق لك الله تعالى هذه الحركة فأخذت الماء ورفعتها إلى فيك لم تستطع أن تشرب، مثل الإنسان الذي شلت يده، فلم يخلق الله له فعلا، فأنت مخلوق وأفعالك مخلوقة، الفعل هذا خلقه الله لك؛ لأن الله لو شلَّ يدك أو رجلك لما استطعت أن تمضي وتمشي، ولا استطعت أن تحرك يدك فأنت مخلوق وفعلك مخلوق فعلك نفسه.

هذا الفعل المصحوب منك أنت بإرادة، وعندك عليه قدرة، من المسؤول عنه؟ أنت، لأنك تستطيع أن تمد يدك إلى أخيك المسلم وتصافحه، وتستطيع أن تأخذ السيف وتضرب به أخاك المسلم.

❍ **الفعل الأول**: من خلق الله.

❍ **الفعل الثاني**: من خلق الله كلها.

لكن كليهما كسبك، وأنت المسئول عنه ما دمت في عقلك ووعيك، ولهذا هذه الأفعال هي فعل الله لأن الله لو شلَّ يدك لما استطعت أن تفعل، ما خلق الله في يدك فعلا، فالفعل خلقه الله لك؛ لكن هذا الفعل منسوب إليك أنت؛ لأن عندك استطاعة، وعندك عقل بناءً عليه تفعل الفعل، وبه تُؤَاخَذ، تُحَاسب،

تُعَاقب بناء على نوع فعلك.

❁ **قال المصنف:** «وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيرُ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) نَقُولُ: لا حيلة لأحدٍ، ولا حركة لأحدٍ، ولا تحوُّل لأحدٍ عن معصية الله، إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحدٍ على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها. يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبدا، تقدَّس عن كل سوء وحَيْن، وتنزّه عن كل عيبٍ وشين».

قوله: «لَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ»؛ وهذا صحيح لم يكلف الله العباد؛ إلا أمورًا يطيقونها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] ؛ **لكن قوله:** «لَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ»؛ غير صحيح، وهذا من المواطن التي أُخذت عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز في **قوله:** «وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ»، هذا غير صحيح، بل المكلفون يطيقون أكثر مما كلفهم به، ولكنه عَزَّوَجَلَّ لطف بعباده ويسَّر عليهم، ولم يجعل عليهم في دينهم حرجا فضلًا منه وإحسانا.

مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ **قوله:** «وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ»؛ معناه: إن الناس «لَا يُطِيقُونَ» فقط إلا خمس صلوات مثلا؛ وهذا غير صحيح؛ لأن الناس لو كُلِّفوا بعشر صلوات لأطاقوها، وهو أصل فرضها أنهم كُلِّفوا بخمسين؛ لكنه فضل الله كما في الحديث: «خَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»، وجعلها تعالى خمسا بخمسين.

وهكذا بالنسبة للزكاة هي: ربع العشر، لو جعلها الله نصف العشر في المال يطيقون، هكذا الحال بالنسبة للصوم لو أن الله فرض صوم رمضان، وصوم أيام أخرى من أي شهر آخر يطيقون، الذي يطيق أن يصوم ثلاثين يستطيع أن يطيق أسبوعا آخر.

فقوله: «وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ»؛ غير صحيح؛ بل يطيقون أكثر لكن الله فضلًا منه وإحسانًا لم يكلفهم إلا ما يطيقون.

قوله: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»؛ أنه لا حيلة لأحد، ولا تحول لك من حال إلى حال؛ إلَّا لمعونة الله تعالى، فلن تتحول عن معصيته إلا بطاعته، ولهذا تقال هاتان الكلمتان عندما يقول المؤذن حي على الصلاة، حي على الفلاح أنت لن تتمكن من الإتيان إلى الصلاة وتُعان عليها إلا بمعونة الله تعالى؛ فلهذا

تقال: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» عند الحيعلتين.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد[١].

(١) نهاية الدرس الخامس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

قال المصنف: «وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ».

ذكر هذه المسألة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي محل خلاف بين أهل العلم، والخلاف في مثل هذه المسألة أمره يسير ليس كالخلاف في المسائل العقدية، إلا من زاوية سيأتي الكلام عليها: هل يصل للأموات شيء ممَّا يبذله الأحياء؟ أمَّا فيما يتعلق بالدعاء: فلا يحل لأحد أن يقول: إنه لا يصل، ثبوت النصوص، وهكذا الصدقة فإنها تصل، والأدلة في هذا كثيرة، ولو لم يكن إلا صلاة الجنازة، صلاة الجنازة كلها دعاء، فلهذا من أهل البدع من يقول: إنه لا يصل شيء البتة؛ وهذا باطل وبدعة، لكن اختلف في أعمال أخرى؛ وهي العبادات البدنية مثل: الصوم، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، فذهب عدد كبير من أهل العلم إلى وصولها، والمشهور من مذهب مالك والشافعي رحمهما الله عدم وصولها، أبو حنيفة وأحمد وعدد من أهل العلم يرون أنها تصل، بمعنى: أنك لو صمت غدًا وجعلت ثواب الصوم لوالدك الذي توفي؛ يقولون: إنه يصل، الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا يصل إلا ما ورد تحديدًا أنه يصل، وهو الذي ورد في النصوص؛ كالحج، والعمرة، والصدقة، والدعاء، قال: وما سوى ذلك فإنه لا يصل؛ لأننا أثبتنا وصول هذه الأشياء لنصوص خاصة، فأما ما سواها فتحتاج إلى نص، الذين قالوا: إنه يصل كل شيء حتى العبادات البدنية، قالوا: إن هذه بمثابة الأمثلة فقط -التي وردت في النصوص-، وبعضها سُئل عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن فريضة الله أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفاحج عنه؟**» قالوا: لو سُئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن غير هذا لأجاب بأنه يصل، لكن سُئل عن أشياء محددة فأجاب، الذي اختاره شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو قول الشافعي، وأن الأصل أنه لا يصل شيء إلا ما دل عليه النص، أمَّا لو أنك قرأت القرآن مثلًا وقلت: اللهم اجعل ثواب قراءتي هذه لوالدي أو لوالدتي، أو لمن ذكرت لمن المسلمين، فقال: فإن هذا لا يصل؛ لأن مثل هذا لم يدل عليه النص، والمسألة -كما قلنا- من المسائل الخلافية بين أهل العلم، لكن أن يقول أحد: إنه لا يصل شيء أبدًا؛ هذا ابتداع، وقال به من قال من

المتكلمين وأهل البدع.

قال المصنف: «وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ. وَلَا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ».

قوله: «وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ»، سواء الذي تدعو لنفسك، أو الذي تدعو لموتاك.

قوله: «وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ»، من يقضيها سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فلا يقضي الحاجات سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكما تقدم كل مخلوق ييسر لك أن يقضي لك حاجة فهو سبب سخره الله تعالى، وهو الذي يستجيب الدعوات، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

قوله: «وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ»، وهذا واضح جدًّا، مالك الناس أجمعين، مالك الدنيا والآخرة عز اسمه.

قوله: «وَلَا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ»، لا يمكن أن يستغني أحد عن الله تعالى طرفة العين، هذه الغمضة، ولا أقل حتى من طرفة العين، فإن العبد محتاج لله في كل شيء حتى في نَفَسه هذا، هذا النفس الآن الذي تأخذه أنت بحاجة لله عَزَّوَجَلَّ، فإذا أدخلته إلى جوفك أنت في حاجة لله عَزَّوَجَلَّ حتى يخرج، لأنه لو احتبس لهلكت، فالعبد محتاج لله عَزَّوَجَلَّ، لا يُتصور أن يوجد أدنى وقت يستغني العبد فيه عن ربه تعالى.

قوله: «وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ»، هو من حيث الوقوع أن يستغني عن الله مستحيل كما تقدم، لكن أن يُظهر هذا الإنسان المسكين الضعيف -أن يظهر الاستغناء عن الله-؛ هذا يكفر، لكن أن يكون هذا واقعًا -أنه استغنى عن الله-، ليس بحاجة لله تعالى أصلًا؛ هذا محال أن يقع، من حيث الوقوع محال، لكن إذا هو استغنى؛ ﴿وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن:٦] ، واستغنى وزعم أنه مستغنٍ عن الله؛ فإنه يكفر.

قوله: «وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ»؛ الحَيْن معناه: الهلاك، أنه يهلك نعوذ بالله.

قال المصنف: «وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى».

هذا من أحسن المواضع في الرسالة، وفيه رد ملجم للمتكلمين، لأن المتكلمين ينفون الغضب والرضا، فالذين يقولون: إن أبا جعفر معنا في هذه العقيدة قلبًا وقالبًا؛ نقول: هذا الموضع من المواضع التي لا تستطيعون الجواب عنها؛ لأنكم لا تقولون إن الله تعالى يرضى ويغضب، هم يؤولون الرضا والغضب إلى الإرادة؛ إرادة الإنعام، أو إرادة الانتقام، بزعمهم أن الله لا يليق أن يرضى، ولا يليق أن يغضب، قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩]، ثم الإنسان ماذا يدعو؟ أسألك رضاك والجنة، أعوذ بك من سخطك، أعوذ بك من غضبك، ثم يقول: هذه المعاني المقصود بها: الإرادة؛ لأن هذه لا تليق بالله، كيف يقال هذا الكلام، إلا من قِبَل من قلَّ نصيبه من معرفة الله تعالى، ولهذا قال: «وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى»، **أي**: أني أثبت الغضب والرضا على طريقة أهل السنة، ولا أشبِّه غضب الله ورضاه بغضب ورضا أحد من المخلوقين، فهذا من المواضع العظيمة في هذه الرسالة.

قال المصنف: «وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ، وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ، وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدَ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ».

تكلّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أصحاب النبي صلى الله وسلم، وهذا شعار عظيم من شعارات أهل السنة والجماعة التي لا يقبلون فيها مهادنة لأحد كائنًا من كان، أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما قال ابن مسعود-: قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، فلا شك أنهم قوم اختِيروا اختيارًا، وأنهم كانوا أهلًا رضي الله عنهم

وأرضاهم لشرف هذه الصحبة، ومسألة الصحبة تثبت وتثبت فضائلها وأجرها لمن لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك، فيلقى النبي، أمَّا لو لم يلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن وهو في موطنه ولم يهاجر إليه؛ فإنه لا يعدُّ صحابيًّا، لا بد أن يلقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يلقاه مؤمنًا قطعًا، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقيه مؤمنون ولقيه كفار، فالكفار ليسوا صحابة، وهكذا المنافقون؛ لأن المنافقين في حقيقتهم كفار، فليسوا صحابة، فالمنافقون يظهرون أنهم صحابة، كما أنهم يظهرون أن مسلمون، فيعاملون بالظاهر، لكن في واقع الأمر ليسوا صحابة؛ لأن الصحابي هو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك، **أي**: أنه لم يرتد، لأنه إذا ارتد ومات على الكفر؛ فلا يكون صحابيًّا، فهؤلاء أفضل الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، قد أمر الله في محكم القرآن بالاستغفار لهم فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر:٨] ، الآية، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩]، الآية، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]، فهم سبقونا، وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر:١٠]، فهؤلاء خير الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، نفع الله تعالى بهم أعظم النفع، وجاهدوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهاجروا، ونصروه، ونشروا الإسلام في أرجاء الأرض، واستشهد منهم من استشهد، وجُرح منهم من جُرح، ولقُوا من العناء العظيم من الكفار ما لا يحيط به إلا الله، فلهذا أجرهم في الأمة أعظم الأجور بعد نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إن جميع أعمال الصالحة هم السبب فيها، فإنهم الذين نقلوا الأحكام، ونشروا الإسلام، فلأجل ذلك لا يؤذِّن مؤذن في هذه الأرض كلها إلا ويؤجرون عليه، فهم الذين نقلوا هذا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطبَّقوه، ثم أخذته الأمة عنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتسلسل هذا، فكل خير في الأمة فهو من نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، لهذا نحبهم، لكن لا نفرِط في حب أحد منهم، لا نبالغ كما فعلت الرافضة حين بالغوا في حب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحسن والحسين، وفي الوقت نفسه لا نتبرأ من أحد منهم، أيُّ أحد من الصحابة لا يحل البراءة منه، ومن تبرأ منه فإنه من أهل الضلال والبدع، أيًّا كان هذا الصحابي.

قوله: «**وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ**»؛ لأنهم كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الأنصار: «**لَا يُحِبُّهُم إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا**

يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ»، فمن أبغض الصحابة؛ فإنه منافق بنص الحديث، فكيف يبغض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين هاجروا معه وآووه ونصروه، وبذلوا أنفسهم وأموالهم طاعة لله ورسوله، فلا يبغضهم إلا رجل في قلبه نفاق، ولهذا لما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في آخر سورة الفتح أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فلا يصاب بالغيظ منهم إلا كافر.

قوله: «**وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ**»؛ وقع منهم رضي الله عنهم ما وقع بصفتهم بشرًا، يخطئون ويصيبون، ولا عجب أن يخطئ الصحابي؛ لأنه لم يُعصم، ومن حكمة الله أن يخطئ الصحابي، وأن يخطئ العالم، كما قال الحسن: لو أن العالم لا يخطئ؛ لأصيب بالجنون من الاغترار، لكن الله تعالى يقدر أن يخطئ الإنسان، ثم يدرك أنه أخطأ فيستغفر ويستعتب، لكن لو كان الإنسان يعيش مائة سنة ما أخطأ فيها أبدًا يغتر الإنسان بنفسه غاية الاغترار، فيخطئ، ويعلم أنه أخطأ، ويستعتب، كما في الحديث: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»، فهم رضي الله عنهم ليسوا بمعصومين، العصمة لمجموعهم، كما أن العصمة لمجموع الأمة إذا أجمعت، فأمَّا الفرد من الصحابة فيقع منه الخطأ كما يقع من غيره من الناس، وإن كانوا أقرب إلى الحق والصواب -بلا شك- من غيرهم.

قوله: «**وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ**»؛ ما فائدة هذا الموضع؟ نقْضُ كلامه السابق، ولهذا تعقَّبه الشارح هنا، لأنه قال: إن الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالقلب، وهنا ذكر أن حب الصحابة، وحب الصحابة زائد على اعتقاد القلب؛ لأنه عمل من أعمال القلب، قال: إنه يلزم المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في قوله: «**وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ**»: أن يكون الإيمان غير مقصور على اعتقاد القلب ونطق اللسان؛ لأنه جعل حب الصحابة -وحب الصحابة عمل قلبي- إيمانًا.

قوله: «**وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ**»؛ ولا شك في هذا: أن حب الصحابة دين يتدين به المؤمن، وأنه من الإيمان، وأنه من دلائل إحسان هذا المحب لأصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن بغض الصحابة دال على الكفر، وعلي نفاق الشخص وطغيانه، ثم تحدث رَحِمَهُ اللَّهُ عن الخلافة، وأن الخلافة تثبت لهؤلاء الأربعة الراشدين، وأنهم رضي الله عنهم ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم، هؤلاء الخلفاء الراشدون، ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فالأول: أبو

بكر فهو أفضلهم، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، لأنهم بويعوا بحسب الأفضلية، وقد كان الصحابة ﷺ يقولون زمن النبي ﷺ -كما روى ابن عمر ﷺ-: كنا نقول زمن النبي ﷺ: أفضل أصحاب النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره، فمعروف أنهم أفضل الصحابة ﷺ وأرضاهم، وقطعًا أفضل الصحابة أبو بكر الصديق ﷺ تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، والنصوص في أبي بكر كثيرة جدًّا، حتى قال شيخ الإسلام: إن أبا بكر وردت فيه خصائص، وورد في غيره فضائل، ما الفرق؟ الخصائص اختص بها، والفضائل تعمُّه وتعمُّ غيره، مثل: الهجرة تعُمُّ أبا بكر، عمر، عثمان، علي، تعُمُّ غيرهم من العشرة، تعمُّ غير العشرة، كلهم هاجروا، يقول: أمَّا أبو بكر فإذا تأملت كثيرًا من مناقبه وإذا بها خصائص، من خصائصه: أنه المذكور في الصحابة الوحيد المنصوص على صحبته: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠]، قال أهل العلم: من أنكر صحبة أبي بكر كفر؛ لأنها مخصوصة في القرآن، فهذه خصيصة من خصائصه، مع أنه يوجد مع النبي ﷺ أصحاب كثيرون، وهكذا جملة من الخصائص التي اختص بها رضي الله تعالى عنه وأرضاه يطول بناء المقام لو تتبعناها، وقد أوفاها أئمة الحديث رحمهم الله، فذكروا فضائل أصحاب النبي ﷺ، فضائل المهاجرين، فضائل الأنصار، فضائل أبي بكر وعمر، والعادة أنهم يرتبون بحسب العشرة المبشرين، فيقولون: فضائل أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، وهكذا، ويذكرون فضائل آل بيت النبي ﷺ، ثم يثبت الفضل والخلافة لعمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه، بعد ذلك يثبت الفضل لعثمان، وهذا هو الذي لا شك فيه ولا ارتياب، وأن عثمان أفضل من علي قطعًا، وفي البخاري: أن محمد ابن الحنفية قال لأبيه: يا أبت! من أفضل أصحاب النبي ﷺ؟ قال: يا بني أَوَمَا تعلم!! أفضلهم أبو بكر، قال: ثم مَن؟ قال: ثم عمر، قال: فخشيت أن يقول: ثم عثمان، فقلت: ثم أنت، فقال: إنما أبوك رجل من المسلمين، لأنه يعلم أن عليًّا ربَّى على تقدير عثمان، فتوقع أن يقول: إن الثالث هو عثمان، وهو كذلك، وهذا هو المعروف، ولهذا لمَّا انحصرت البيعة في عثمان أو علي، استشار عبد الرحمن بن عوف ﷺ المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد وعموم الناس، يبايَع عثمان أو علي؟ فوجدهم مطبقين على بيعة عثمان، لهذا قال سفيان: من قدم عليًّا عليًّا على عثمان فقد أزري بالمهاجرين والأنصار، متفقون كلهم عليه، حتى قال أحمد: لم يبايع أحد مثل بيعة عثمان، لأنها تمَّت البيع برضا الجميع، ولهذا قال عبد الرحمن لعلي: يا علي! إني لم أرَ الناس يعدلون بعثمان أحدًا، فلا تجعلن على

نفسك سبيلًا، فبايع عثمان، وبايعه علي رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم، فلا شك أن عثمان أفضل من علي، والنصوص فيه دالة على هذا، ثم علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ولهذا كان عمر بعدما مات أبو بكر هو أفضل أهل الأرض، فلما مات عمر كان أفضل أهل الأرض: عثمان، فلما قتل عثمان كان أفضل أهل الأرض عليًّا، بهذا الترتيب، الأفضلية تكون بهذا الترتيب، فهم ﷺ مرتبون في الفضل وفي الخلافة.

قوله: «**وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ**»؛ وهذا الوصف جاء من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخلافة الراشدة تبقى بعده ثلاثون سنة: «**خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ**»، فكانت الخلافة الراشدة في هؤلاء الأربعة ﷺ وأرضاهم.

قوله: «**وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ**»؛ يؤتمُّ بهم، هداة مهتدون ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، ونعم الأئمة ﷺ وأرضاهم.

قوله: «**وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ**»؛ وهم أفضل الصحابة بعد الأربعة، فأفضل الصحابة هؤلاء العشرة، نشهد لهم الجنة بأعيانهم فنقول: سعد في الجنة، عمر في الجنة، عثمان في الجنة، هذه مزية الشهادة، لأنه ورد الحديث المحدَّد فيهم ﷺ وأرضاهم.

قوله: «**وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ**»؛ وهو طلحة بن عبيد الله.

قوله: «**والزبير بن العوام، وَسَعْدٌ**»؛ وهو ابن أبي وقاص.

قوله: «**وَسَعِيدٌ**»؛ بن زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ.

قوله: «**وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ**»؛ عامر بن الجراح.

قوله: «**وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»؛ كما ورد في الحديث، ﷺ وأرضاهم أجمعين.

بعد أن ذكر هذه المسألة ذكر أن من أحسن القول في أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي زوجاته المطهرات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، فهذا لفظ قرآني، فهنَّ مطهرات من كل دنس رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن.

قوله: «**وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»؛ وفي الزوجات الكريمات أمهات المؤمنين، وفي الذريات من ذراري النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي عموم آل بيته.

قوله: «**الْمُقَدَّسِينَ**»؛ بعض الناس عنده حساسية من كلمة التقديس، معنى التقديس: التطهير، فيصح أن أقول: قدَّس الله روح من تُوفِّي؛ لأن معناها: طهر الله روحه، فقول: «**الْمُقَدَّسِينَ**»: المطهرين من كل رجس.

قوله: «**فَقَدَ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ**»؛ لأن الذي لا يكون على هذا الحال كما تقدم يكون فيه علامة من علامات النفاق، بعد أن تكلم عن الصحابة والأزواج والذرية رضي الله عنهم أجمعين، تكلم عن بقية علماء السلف، والسلف هم أهل القرون الثلاثة الفاضلة، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ**»، فهم ثلاثة قرون، وفي اللفظ الآخر: «**خَيْرُ النَّاسِ القَرْنُ الذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ**»، فهؤلاء أفضل الأمة، ولهذا دائمًا أهل الحق يركزون على منهج السلف، دائما يقولون: منهج السلف؛ لأن السلف هم خير الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم بنص الحديث، فلهذا هذا السلف كان عندهم عقيدة، أو ما عندهم عقيدة؟ عندهم عقيدة، كل من خالف عقيدة السلف؛ فهو مبتدع، أيًّا كانت مخالفته، ولهذا ما ضل من ضلَّ من الفرق إلا بعد أن أبعدوا عن منهج السلف، وإذا أردت الدلالة على أن هؤلاء بعيدون عن منهج السلف؛ اسألهم عن منهج السلف ما هو؟ هم كل الأمة سوى الرافضة، ولا اعتبار -ولله الحمد- بهم، الأمة تقول هذا الكلام كله: أفضل الأمة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من بعدهم؟ التابعون، من بعدهم؟ أتباع التابعين، هؤلاء أفضل الأمة بالإطلاق، تشهدون لأعيان منهم بالجنة من حُدِّد بالجنة، أفضل منَّا ومن كل من يأتي إلى قيام الساعة، لماذا لا تأخذون عقيدتهم؟! لماذا تخالفون عقيدتهم؟! ما داموا أفضل الأمة، ولهم عقيدة مرويَّة بالسند عنهم رضي الله عنهم، حين تجد عقيدة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والمهاجرين والأنصار لماذا تذهب تأخذ عقيدة عمرو بن عبيد من المعتزلة، أو الجهم بن صفوان، أو تأخذ عقيدة الخوارج، أو الروافض؟!! ما الذي يجعلك تزيغ عن هذا المنهج؟!! فالجميع متفق على أن الصحابة أفضل الأمة، الصحابة ما عندهم عقيدة؟!! كيف ما يكون عندهم عقيدة؟!! لو لم يكن عندهم عقيدة ما كان عندهم إيمان، ماذا عن عقيدة الصحابة؟ هل هذه العقيدة التي أنت عليها هي عقيدة الصحابة أم لا؟ هذا الفارق الكبير الذي يبيِّن لك المبتدع من السني، ولأجل ذلك إذا ناقشت بعض المبتدعة وأثنى على الصحابة يقول: أنا على منهج الصحابة، نقول

له: أعطني كتابًا واحدًا في عقيدة الصحابة تعرفه، الآن تقول: أنك على عقيدة الصحابة؟!! كيف تعرف عقيدة الصحابة؟ ما الكتب التي روت عقيدة الصحابة؟ وقع لي هذا مع أحد المبتدعة، قلت له: منهج السلف صواب أم خطأ؟ إن قال: خطأ؛ قلت: لا حاجة للنقاش معك أصلًا، قال: منهج السلف هو الصواب، والذي يخالف منهج السلف باطل، قلت: أعطني كتابًا في عقيدة السلف، هات كتابًا، عندك كتاب تعرفه؟ هات كتاب يبيِّن لك العقيدة عن السلف، حدثنا فلان عن فلان عن عمر في الرؤية، حدثنا فلان عن فلان عن أبي بكر في الرؤية، حدثنا فلان عن فلان في عذاب القبر عن أبي عبيدة عن سعد، أعطني عقيدة السلف التي كنت تقولها، حار الرجل ومكث فترة ثم قال: عقيدة الطحاوي، قلت: عقيدة الطحاوي لا يوجد فيها أثر واحد، أثر واحد لا يوجد في عقيدة الطحاوي، كيف تقول: إنك على عقيدة السلف؟!! وتزعم أنك على عقيدة السلف، أين كتاب اللَّالكائي «**شرح أصول اعتقاد أهل السنة**» يروي بالسند العقيدة عن الصحابة، ثم يروي بالسند العقيدة عن التابعين، ثم يروي بالسند العقيدة عن أتباع التابعين، ثم يروي عن أئمة الإسلام: مالك، الشافعي، أبي حنيفة، أحمد، ثم يروي عن بقية الأئمة، أينك عن هذه الكتب؟!! أينك عن كتاب الشريعة للآجري؟!! كتاب «**الإبانة الكبرى**» لابن بطة، الذي يروي العقيدة عن الصحابة، عن السلف، فأنتم تقولون: أنتم على عقيدة السلف، والله ما تعرفون عقيدة السلف، ما تعرفون إلا عقيدة المعتزلة والجهمية والكلَّابية وفروعهم، أمَّا أن تكون تعرف عقيدة السلف فأنت لا تدري بالكتب التي روت عقيدة السلف، وأنت تظن أن الصحابة ما لهم عقيدة؟!! تظن أن الصحابة لم يُرو عنهم عقيدة؟!! سبحان الله!! ألم يفسروا نصوص الصفات في تفسير ابن أبي حاتم، وفي تفسير ابن جرير تروى تفاسير الصحابة ﷺ بالأسانيد إليهم؟ في مسائل الإيمان، في مسائل القدر، في مسائل الصفات، في جميع مسائل التي ذكرها الله تعالى في كتابه، كيف تقول: إنك على عقيدة السلف وأنت لا تدري بكتب السلف؟!! وهذا الفارق الكبير، تجد صاحب الحق يعتني بكتب السلف، وبأقوال السلف، ويحث الناس، حتى يموت ويقول: عليكم بمنهج السلف، هذا وضع السلف، هم أهل الحق، واعتقادهم هو الصواب، وما ضاعت الأمة إلا بعد ما ترك هؤلاء الضالون عقيدة السلف، لهذا قال لما تحدث عن الصحابة: «**وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ**»؛ جمعوا الأمرين: فهم أهل الآثار والروايات، وأهل الفقه فيها، والنظر فيها.

❁ **قال المصنف:** «لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ».

أي: على غير السبيل والطريق المرضي، فالواجب أن يلزم اعتقاد السلف رضي الله عنهم وأرضاهم.

❁ **قال المصنف:** «وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ : نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ».

تكلم بعد ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الأولياء، وأولياء الله -كما تقدم- هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، وقلنا: إن المؤمنين يتفاوتون في درجة الولاية، فمن كان أعظم إيمانًا وتقوى؛ كان أحظَّ بهذه الولاية، فلما كان هؤلاء الأولياء على هذا الحال؛ علمنا أن رأس الولاية صحة العقيدة، لأن الولي في هذه الأمة أفضل الأولياء هم الصحابة، هم أولياء الله من هذه الأمة في المقام الأول، هم التابعون، هم أتباعهم، ولهذا من جميل الأجوبة لعبد القادر الجَيْلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قيل له: أيكون ولي من أولياء الله على غير عقيدة أحمد بن حنبل؟ قال: لا كان، ولا يكون؛ لأن عقيدة أحمد هي عقيدة السلف، فسأله سائل: يمكن أن يكون ولي من أولياء الله لكنه على عقيدة تختلف عن عقيدة السلف، قال: لا كان في السابق، ولا يكون في اللَّاحق، لا يمكن، لأن رأس الولاية صحة العقيدة، أمَّا أن يكون ولي من أولياء الله لكنه فاسد العقيدة، كيف يكون وليًّا من أولياء الله؟!! الأساس هو الاعتقاد، لأجل ذلك نص على هذه المسألة؛ لأن هناك من بالغ في موضوع الولاية، حتى رفع الأولياء -والعياذ بالله- على درجة فوق درجة الأنبياء، كما كان حال الضائع التائه ابن عربي صاحب «**الفصوص**»، يقول:

[مَقامُ النبوة في بَرزخٍ فُوَيْقَ الرسول ودون الولي]

سبحان الله!! عكس الدين كله، الرسول أفضل من النبي، هو قال: لا، النبي أفضل من الرسول، والولي أفضل من الرسول ومن النبي، هذا الكلام لا شك أنه باطل معلوم البطلان من دين الإسلام بالضرورة، وأن من قال: إن وليًّا أفضل من أي نبي من الأنبياء -الأنبياء صفوة الخلق، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥]، اصطفاهم الله اصطفاءً، كيف يقال هذا والعياذ بالله؟!! الأولياء ما بلغوا، مهما يكن، أفضل الأمة أبو بكر، لا يمكن أن يكون أفضل من أي نبي من أنبياء بني إسرائيل أو غيرهم؛ لأن درجة النبوة أعظم درجة يكون عليها الإنسان، أعظم ما يصل إليه الإنسان:

درجة الرسالة والنبوة، وهذا اصطفاء عظيم من الله عَزَّوَجَلَّ، لأجل ذلك قال: «وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»؛ ردًّا على الصوفية الغلاة فضلوا الأولياء -والعياذ بالله- على الأنبياء، ولهذا قال: نقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء؛ أي: من بني آدم كلهم من سائر الأمم، منذ عهد آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، لا شك في هذا، لأن مقام النبوة لا يمكن أن يصل إليه مَن سوى الأنبياء، لأجل ذلك نص عليه، ولهذا نص عليه ردًّا على غلاة الصوفية.

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ».

الكرامة عادة تطلق على خوارق العادة، أي: ما يخرق الله للأولياء من العادات بحيث يقع لهم -بإذن الله- ما شاء الله تعالى أن يقع، كما حصل لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم:٢٥] ، امرأة ولدت في غاية الضعف، ومع ذلك تؤمر بهز النخلة، تنبيها على اتخاذ الأسباب، وإلَّا لو شاء الله لأسقط عليها الرطب، قال: ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم:٢٣]، قال أهل العلم: إن جذع النخلة هذا كان لنخلة في غير إبَّان ثمرها، فنزل -بإذن الله- عليها هذا الرطب، لذلك قال: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ [مريم:٢٦]، ستقَرُّ عينها لا بمجرد الرطب، الرطب موجودة، لكن ستقَرُّ بهذه الخارقة العظيمة، ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾، وأن الله تعالى سيقوم بأمرها، وهكذا أهل الكهف لبثوا في كهفهم بنص القرآن: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [الكهف:٢٥] وسخر الله الشمس تسخيرًا: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ [الكهف:١٧] – تميل- ﴿عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ﴾ [الكهف:١٧] ، يمكن أن تصيبهم الشمس، فجوة من الكهف، لكن الله تعالى يميل الشمس عنهم، فكل هذا من خوارق العادات، فهذه تثبت للأولياء إذا جاءت في نصوص القرآن قطعًا، إذا جاءت في النصوص الثابتة عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من ذلك الكثير، ووقع لأصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من ذلك كثير أيضا، ووقع للتابعين من ذلك كثير، تتبعناه في كتاب: كرامات الأولياء، وهو موجود في الموقع لمن أراده، فيه النصوص الصحيحة الثابتة الدالة على أمر الكرامة، وعلي أن هذه الكرامة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ تخرق العادة، ولكن هناك ضوابط حتى يفرق بين الخوارق التي قد تقع للسحرة أو للعابثين من الكذبة والمحتالين، وبين الخوارق الحقيقية التي يخرق الله تعالى بها العادة لهؤلاء

الأولياء الكرام.

وأعظم الضوابط على الإطلاق: استقامة من وقعت له الكرامة، أعظم ضابط على الإطلاق، لن تجد ضابطًا أعظم من هذا الضابط، بحيث إذا كان مستقيمًا ووقع له مثل هذه الخوارق لا يستغرب، فإذا كان غير مستقيم، فلو أمر السماء فأمطرت، والأرض فأنبتت؛ فليس من أولياء الله، وإلَّا فهذا يقع للدجال؛ يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، ويمر بالخَرِبة فيأمرها فتتبعها كنوزها كيعاسيب النحل، ومع ذلك هو عدو الله عَزَّوَجَلَّ، فمجرد خرق العادة وحده لا يكفي، حتى يكون خرق العادة لمستقيم، لهذا قال: «وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ»؛ لا بد أن تصح الرواية عن هؤلاء الأفاضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فإذا صحت الرواية وكانوا على الاستقامة؛ فنعم يصدَّق هذا، والله تعالى على كل شيء قدير.

قال المصنف: «وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ : مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا».

أشراط الساعة كما قال تعالى:﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَآ﴾ [محمد:١٨] ؛ أي: علاماتها، وأشراطها على نوعين:

- **النوع الأول**: أشراط صغري.
- **النوع الثاني**: أشراط كبرى.

وذكر هنا بعضًا من الأشراط الكبرى؛ لأن الأشراط الكبرى عشر، ذكر منها: «**خروج الدجال، ونزول عيسى من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وهكذا خروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تحشر الناس تخرج من قعر عدَن تبيت معهم حيث باتوا، تسوق الناس إلى محشرهم**»، هذه أشراط كبرى، جاء في الحديث: أنها إذا بدأت تكون بمثابة العقد الذي انقطع فيتوالى؛ لأن أشراط الساعة الكبرى -نسأل الله العفو والعافية- تكون متوالية جدًّا، أمَّا الأشراط الصغرى فكثيرة، ومنها ما نحن فيه الآن، وذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجموعة غير قليلة من أشراط الساعة، ومن ضمنها: ما يذكر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أحوال الناس والتغيُّر، بعض الأحوال التي أخبر بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هي من أشراط الساعة، فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جملة غير قليلة من أشراط الساعة، وللشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب حافل

وعظيم في أشراط الساعة: «**إتحاف الجماعة بأشراط الساعة**»، وهذا الشيخ العالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خيار أهل العلم، وإن كان بعض طلبة العلم لا يعرفونه، ومن أكثر من صنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله ردود عظيمة على أهل الضلال، وعلي أهل الفسق، فحريٌّ أن يستفاد من كتبه رحمة الله تعالى عليه، وإن كان كثير من طلبة العلم لا يعرفه؛ لأنه رحمة الله عليه أصلًا كان لا يحرص على أن يُعرف، وحدثني ابنه عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه عُرِّف به في أحد الكتب في صفحتين، فجمع جميع الكتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي عُرِّف به وقطع التعريف، قطع الصفحتين من الجميع؛ لأنه ما كان يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُعرف، لكنه الحقيقة من أحسن من يؤلف، مؤلفاته حافلة جدًّا، ومن ضمنها هذا الكتاب العظيم في أشراط الساعة، وألَّف فيها غيره، فأشراط الساعة نؤمن بها، ونعلم أن هذه الأشراط تتقدم، وتأتي قبل الساعة، وتكون علامات على الساعة.

۞ قال المصنف: «وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ».

ذكر هذا الصنف الخبيث الذي يدعي أنه يعرف المغيَّبات، سُمِّي: العراف؛ كأن يعرف، وهكذا الكاهن المتكهِّن الذي يزعم أنه يعرف الشيء الغائب، ولأهل العلم كلام في الفرق بين العرَّاف والكاهن، بعضهم يطلق هذا على هذا، لكن مجموعهم يدعي معرفة الغيب، وأنه يستطيع أن يعرف الغائب ونحو ذلك ممَّا يغيب عن الإنسان ويضيع، دعوى كاذبة منه، وقد أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم ليسوا بشيء، فقيل له: إنهم يحدثون بالأمر فيقع، فقال: «**تلك الكلمة يخطفها الجني من السماء**» لأن الملائكة -بإذن الله- تنزل في العنان، والعنان: هو السحاب، فتتحدث بالأمر من أمر الله قُضي، فالشياطين من حرصهم -عياذًا بالله- على الاضلال يحرصون على خطف واستراق السمع لما تقوله الملائكة، قال: ومسترقوا السمع هكذا، حرَّف سفيان يده وبدَّد أصابعه، **أي**: أنهم ليسوا متلاصقين، ولكن هذا في موضع وهذا في موضع، فإذا سمع الأول كلمة الملائكة ألقاها إلى الذي تحته، ثم ألقاها ذاك إلى الذي تحته، قال: فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، فإذا أدركه الشهاب أحرقه قبل أن يلقيها إلى الذي تحته فتنقطع بإذن الله، وربما ألقاها قبل أن يحرقه، ربما ألقاها إلى الذي تحته قبل أن يحرقها إذا شاء الله تعالى ذلك ابتلاءً وامتحانًا، فحتى تصل إلى الكاهن أو الساحر، فيزيد معها مائة كذبة، لذلك تلاحظ الذين يذهبون الكهان يعود الواحد منهم -عياذًا بالله- مبغضًا لأخيه، زوجة أبيه، ابن عمه، يقول: ذاك سَيَسْحَرك، ذاك سرق منك، يزيد جملة من الأكاذيب، فيصدق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء، يقول: أليس قال لنا يوم كذا:

كذا وكذا؟ فيصدق بكلمة واحدة من الحق التي خطفت من استراق السمع، ويكذب هذه الكذبات التي تفسد في الناس هذا الإفساد العظيم، ولا شك أن الكهنة والعرَّافين يجب أن يبادُوا بحكم الشرع؛ لأنهم كفرة، لا تتحقق لهم هذه المسائل سحرًا وكهانة وعرافةً إلا بالاتصال بالجن، تحديدًا بالشياطين، فيبيعون الشياطين دينهم، نسأل الله العافية، تلاحظ الهيئات إذا قبضت على السحرة ماذا تلاحظ؟ تلاحظ أن عندهم -أخزاهم الله، ولعنهم- المصاحف قد دُنِّست بدم الحيض، أو وضعوا -لعنة الله عليهم- البول والعذرة والنجاسات على المصحف، ما هذا الفعل؟ هذا ثمن دينه، لأنه يبيع دينه، يطلبون منه أن يكفر، فإذا باع دينه؛ مكَّنوه من مثل هذه الأمور، ولهذا السحر مباشرة كفر، هذا الصحيح الذي لا شك فيه، وعليه أكثر أهل العلم، وهكذا مثل هذه الأمور، فلا نصدقهم، ولا يجوز بتاتًا الاطلاع على قنواتهم، والاستماع لهم، وسؤالهم، لا يحل هذا، «**ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول** -كما في الحديث-؛ **فقد كفر بما أنزل على محمد**»، فإذا كان الذي يصدقه يكفر، فما بالك بالكاهن نفسه!! فيكون كفره أغلظ بلا شك.

قوله: «وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ السُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ».

أي أحد يخالف الكتاب والسنة عرافًا كاهنًا، أو أي أحد يخالف الكتاب والسنة؛ فإنه لا يصدَّق، ويرد عليه كلامه.

۞ قال المصنف: «وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا».

لا شك أن الجماعة حق، وأنها صواب، وأن الفرقة فيها الزيغ والعذاب، وفي هذه المقولة العظيمة لابن مسعود ﷺ قوله: ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة، الجماعة -كما تلاحظ- توجد فيها منكرات، يوجد فيها أمور تذيب القلب، وتُحزن المؤمن، لكن وجود هذه المنكرات في حال من الجماعة خير ممَّا لو وقعت الفُرقة، لأنها إذا وقعت الفرقة هذه المنكرات التي تراها ستكون أضعاف أضعاف المنكرات هذه، ولهذا قال: ما تكرهون في الجماعة؟ لأن الجماعة فيها أمور تُكره مثل هذه المنكرات، خير ممَّا تحبون في الفرقة، لو وجدت الفرقة لكان الشر الموجود في الفرقة أكثر بكثير، فلأجل ذلك يُحرص على الجماعة، ويُؤمر بالمعروف، ويُنهى عن المنكر، ويبلغ العلم، ويقال الحق، ويرد الباطل بالقدر الذي مكَّن الله تعالى المؤمن منه، ولا يكلفه الله تعالى إلا ما يستطيع، ولأجل ذلك المؤمن إذا كان على هذا الحال سينفع الله به نفعا كثيرًا، وسينكر منكرات كثيرة جدًّا، وسيعلم كثيرًا من الجهال،

وسينشر كثيرًا من العلم والخير في حال الجماعة، لهذا يقول: «**وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا**»، أمَّا الفرقة فزيغ وانحراف وعذاب، عذاب للناس في دينهم ودنياهم، لأجل ذلك يُحرص على الجماعة، ويُتحمل في الجماعة أمور كثيرة، لأجل أن تبقى الجماعة، ويبقى كيانها، ويحرص المؤمن على إيصال الخير والصبر حتى يأذن الله تعالى له بلقائه على أحسن حال، فيلقى الله تعالى غير مبدِّل ولا مغيِّر، أو أن يصلح الله تعالى الحال، لكن يبقى في الجماعة.

۞ **قال المصنف:** «**وَدِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ**».

دين الله عَزَّوَجَلَّ الأصل أن الإسلام لجميع الأنبياء، الإسلام بالمعنى العام هذا يجتمع عليه جميع الأنبياء، ولهذا يقول يعقوب لبنيه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة:١٣٢]، قد يقول قائل: هم قبل الإسلام، هذا الإسلام العام الذي يجتمع عليه جميع الرسل من آدم إلى جميع إلى آخرهم محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، دينهم الإسلام بالمعنى العام، وهو القائم على توحيد الله، ونبذ الشرك، والاعتقاد عند جميع الرسل صلى الله وسلم واحد، ولا يمكن أن يأتي فيه نسخ، النسخ يكون للأحكام للشرائع، فيحل في شريعة هذا ما كان محرمًا في شريعة ذاك، أمَّا الدين والاعتقاد فهم جميعًا فيه على اعتقاد واحد، لهذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلَّات دينهم واحد، وأمهاتهم شتى**»، الدين واحد؛ وهو التوحيد، والأمهات؛ الشرائع من حيث الحلال والحرام والواجب هذه تتفاوت، قد يحل في شريعة ما لا يحل في شريعة أخرى، ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[والدين في التوحيد دين واحد لم يختلف منهم عليه اثنان]

فهم في التوحيد على دين واحد، وهو دين الإسلام الذي قال الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] ، وقال:﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] ، ثم أراد أن يتحدث عن وسطية الإسلام، وهو أن الإسلام بين الغلو، والغلو معناه: التنطع والزيادة والخروج عن النَّهج السوي بالمبالغة والزيادة، والتقصير: وهو التفريط، فالإفراط بالزيادة، والتفريط بالنقص، فدين الإسلام بينهما لا إفراط ولا تفريط.

قوله: «**وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ**»، طريقة المشبهة.

قوله: «**وَالتَّعْطِيلِ**»، طريقة المعطلة، الذين يشبهون الله بخلقه، وبين الذين يعطلون الله عن كمال صفاته.

وبين الجبر والقدر؛ **أي**: بين الجبرية قصده تحديدًا؛ **أي**: بين القائلين بالجبر، والقائلين بالقدر، **أي**: بين الجبرية الذيين يقولون: الإنسان مجبر، وبين القدرية الذين يقولون أصلًا العبد هو الذي ينشئ القدر من نفسه دون الرب عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «**وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَاسِ**»؛ كما تقدم، بين الأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ، وبين اليأس من رحمته، فهذا هو دين الله بين هاتين الضلالتين، كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منهج أهل السنة: يقول: إنه كاللبن الخالص الذي يكن من بين فرث ودم سائغًا للشاربين، فيقول: اللبن بأمر الله عَزَّوَجَلَّ يخرج من بين فرث ودم، ما سوى المنهج الوسطى الحقيقي منهج أهل السنة إمَّا أن يكون مبالغة على طريقة الخوارج مثلًا، أو أن يكون تقصيرًا على طريقة المرجئة، فقال: إنه مثل اللبن السائغ بين الفرث والدم، فهؤلاء بالغوا، وهؤلاء قصَّروا، فمنهج أهل السنة كاللبن السائغ الذي يخرج من بين فرث ودم سائغًا للشاربين.

۞ **قال المصنف**: «**فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ، وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلِ: الْمُشَبِّهَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَآءُ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ. وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ**».

فهذا ديننا واعتقادنا، الاعتقاد أمره عظيم، المؤمن ينتمي إليه، ويبرأ ممَّن خالفه ظاهرًا وباطنًا، ما عندنا اعتقاد نظهره للناس ونحن نبطن سواه، لأن هذا فعل المنافقين، فالاعتقاد نظهره ولا نُكِنُّ شيئًا، بحيث نقول للناس اعتقادًا معينًا ونخفي ما سواه، فهذا فعل المنافقين، بل اعتقادنا هو الذي نظهره، ويعلم الله تعالى أنَّا نبطنه، ولأجل ذلك فنحن بُرَءَاءُ إلى الله ممَّن خالف هذا الاعتقاد، لأن الخلاف العقدي ليس كالخلاف الفقهي، الخلاف العقدي غليظ، يكون من آثاره: التضليل والتبديع، ويصل إلى التكفير، فلأجل ذلك أمره كبير، بخلاف الخلاف الفقهي السائغ الذي يكون بين أهل العلم ممَّن يحق

لهم الاجتهاد، فهذا مجتهد أصاب فله أجران، وهذا أخطأ فله أجر واحد، أمَّا مسائل الاعتقاد فلا تقبل مجاملة، إمَّا أن الصحابة عدول وهم خير الأمة، وهذا قول أهل السنة، أو يقول قولًا آخر مقابل لقول الرافضة، ليس هناك مجال لأن تقول: كلا القولين صواب، فالصحابة عدول، وهم كما يقول الرافضة، هذا مستحيل هذا الأمر، أو أن تقول: تثبت الله تعالى الصفات على ما يقرر أهل السنة، وفي الوقت نفسه تُنفى، ما يمكن، لا بد من قول واحد، ولهذا قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تناظروا في أمر إذا أخطأ أحدكم قيل له: أخطأت، ولا تناظروا في أمر إذا أخطأ فيه أحدكم قيل له: كفرت، يقول: تناظروا في مسائل الفقه، فأمرها إذا أخطأت قيل لك: أخطأت، قسمت مسألة من مسائل الفرائض أخطأت فيها، عددت أركان الصلاة فأدخلت فيها واجبًا وليس ركنًا؛ فهذا خطأ منك، ليس أحد يقول لك: إنك ابتدعت، أو ضللت، الجميع يقول لك: أخطأت، يقول: أمَّا مسائل الاعتقاد فأمرها غليظ، قد يترتب عليه تكفير، تضليل، تبديع، لأجل ذلك يجب أن يضبط الاعتقاد، لأن الاعتقاد حق وما سواه باطل.

قوله: «وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ، وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ».

ذكرها في الأخير.

قوله: «وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ»؛ المهلكة هذه.

قوله: «الْمُشَبِّهَةِ»؛ يشبهون الله بخلقه.

قوله: «وَالْمُعْتَزِلَةِ»؛ الذين نفوا الصفات، وقالوا: إن نفي الصفات هو التوحيد، ورأوا أن صاحب الكبيرة مخلد في النار، ووضعوا لهم أصولًا ابتدعوها سمَّوها: الأصول الخمسة، نابذوا بها المسلمين.

قوله: «وَالْجَهْمِيَّةِ»؛ والجهمية؛ أصحاب الجهم بن صفوان، الذي جمع -كما قال أهل العلم- أخس المذاهب، فهو في الإرجاء غالٍ من الغلاة، وفي القدر من غلاة الجبرية، وفي الصفات ينكر الأسماء والصفات كلها -عياذا بالله-.

قوله: «وَالْجَبْرِيَّةِ»؛ الذين يزعمون أن العبد مجبر.

قوله: «وَالْقَدَرِيَّةِ»؛ الذين يقولون: نحن الذين نخلق أفعالنا وننشؤها استقلالًا عن الله.

قوله: «**وَغَيْرِهِا مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والْجَمَاعَةَ**»؛ ممَّن يأتي الى قيام الساعة، ومنه ما ابتلي به المسلمون في القرون الأخيرة، من هذه المذاهب المنحرفة الملحدة، مذاهب أتت الى الأمة من بلاد الشرق أو الغرب، وصرعت -عياذًا بالله- أعدادًا وفئامًا عظيمة، ممَّن عاشوا خُدَّامًا لها، ونشروها، وشابت شعورهم -عياذًا بالله تعالى- في خدمتها، وهي مذاهب إلحاد، وعاشوا على هذا الحال -نعوذ بالله- سنينَ من عمرهم حتى نشروا مثل: الفكر الشيوعي، حتى أسقطه الله بعظمته وجبروته، فصار -ولله الحمد- في مزبلة التاريخ، لكن انتشر انتشارًا مهولًا، وصرع من أبناء هذه الأمة من لا يحيط بهم إلا الله، لأنها آراء وضلالات تقبَّلوها، وهكذا ما أتانا من الغرب من الأفكار الباطلة، من الفكر الوجودي، فكر سَارْتَر وَشَلَّتَه، والفكر العلماني بصنوفه، والفكر الليبرالي القائم على الانفتاح المطلق والحرية المطلقة، كل هذه مذاهب، وهي أخس وأسوأ من كل المذاهب السابقة، لهذا يجب عند كلامنا على هؤلاء المبتدعة الضلال أن نربطهم بمن هم أسوأ منهم، ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَغَيْرِهِا مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والْجَمَاعَةَ**»، فكل هذه المذاهب التي أضلَّت الناس أتت من فلسفة الشرق أو الغرب هي أسوأ وأخبث من جميع فرق الضلال السابقة، لأجل ذلك يجب أن يحذر المسلمون منها، لأنها فشت في عدد من المسلمين بسبب أن بعض حمَلَتها -حاسبهم الله بما يستحقون- قالوا: إنها لا تخالف الإسلام، وإنها جزء من الإسلام، ولهذا انظر -الآن- التنظير للعفن هذا المسمى: بالديمقراطية، كيف أنه ينشر على أنه هو الخيار العظيم لبني آدم، وهي من أعفن وأسوأ وأقبح المذاهب، ولا يعرف كثيرون ممَّن يمدحون الديموقراطية أنها في الحقيقة هي الواجهة السياسية للعلمانية، ولهذا الذي يمدح الديموقراطية ويذم العلمانية؛ يضحك منه الشرق والغرب؛ لأن العلمانية أصلها الديموقراطية لا تنشأ إلا في جو علماني، لا تأتي ديمقراطية بدون علمانية، وهذا يقوله نُظَّار الديموقراطية، فكل هذه -**يا إخوة**- مذاهب مُرديَة، استمسك بهدي السلف الصالح رضي الله عنهم واثبت، ولا تغرنَّك هذه الضلالات، فإنها تصرع الناس، ثم -سبحان الله- تموت هذه المذاهب، ثم تُحيا مذاهب أخرى، وتصرع من يتصدى لها، فيستعصم المؤمن بربه، ويستمسك بهذه الديانة العظيمة التي جعلها الله تعالى رحمة، ويثبت عليها، ويسأل الله تعالى الثبات الثابت، وأن يتولاه بالتوفيق.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد[١].

ألقيت هذه الدروس في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة
سنة ألف وأربعمائة وأربعين من الهجرة النبوية
بجامع الصفيَّان، بحي السويدي، الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.

(١) نهاية الدرس السادس.